A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

لبنان وسوريا

قبل الانتداب وبعده

956.9
M391luA
V.1
C.1

بقلم

بولس مسعد

الجزء الأول

١) حوران وجبل الدروز : دولها . جغرافيتها. تاريخها الحديث

٢) الانتداب الفرنسوي في لبنان وسوريه حتى آخر عهد الجنرال غورو

(نشر تباعاً في المجلة السورية)

المطبعة السورية

بشارع دمنهور رقم ١٦ بمصر الجديدة

١٩٢٩

الشيخ بولس مسعد

واضع هذا الكتاب

DS 1884 .S4 A7

مقدمة

الغرض من كتابي هذا ان ابين للقارىء اللبيب حالة لبنان وسورية في عهد الدولة العثمانية وبعده متوخياً سرد الوقائع وبسط الحقائق على علاتها والتعليق عليها بما يميط اللثام عن الحالة التي صارت اليها البلاد بعد الحرب العظمى ويفتح العيون على ما هنالك من العوامل السياسية المتباينة البعيدة المرمى التي ما برحت منذ ما وضعت هذه الحرب اوزارها تعمل تارة متفرقة واخرى مجتمعة على اضعاف هذه البلاد وحرمانها مادة الحياة الاولى

وحسبنا ان نقتصر هنا على هذه الاشارة تاركين للقارىء ان يحكم لنا او علينا بما يستعرض في هذه النبذة من الحوادث والآراء التي بسطناها بسطاً وافياً بغير تحيز لفريق دون آخر من الطوائف اللبنانية والسورية وسواها رغبة منا في اقرار الحقائق في قرارها واخراجاً للعبرة النافعة منها

اقول هذا وانا ارجو ان يكون لنا ما تجلى للعيان من العظات البالغة في الحوادث التي مرت بنا في هذا الدور الخطير من تاريخنا السياسي والاجتماعي درساً حسناً نستعين به على دفع الاخطار التي تهددنا وجلب المنافع التي نحن مفتقرون اليها لاقالة بلادنا من عثرتها وجعلها في المستوى الذي هي اهل له . فهي مهد البشرية ومصدر الشرائع المنزلة ومهبط الاديان ومنارة الحضارة القديمة ورمز الجمال الخالد ومنتهى آمال امم عريقة لها مقامها الرفيع في مجتمع الامم الشرقية ولها حقها في الحياة الحرة بين الشعوب الحية الناهضة ؟

المؤلف

حوران وجبل الدروز

على ذكر الثورة السورية

كثيرون من مواطنينا السوريين واخواننا المصريين الذين يتتبعون سير الثورة في البلاد السورية باعتبار انها جزء من الشرق العربي ، الذي تعدّ مصر قلبه النابض ورأسه المفكر ، يتوقون الى الاحاطة باحوال تلك البلاد وشئونها ، ولا سيما ما كان منها مركزاً للثورة الاخيرة التي نشبت فيها ، ونعني به جبل الدروز . ذلك المعقل التاريخي الحصين الذي ضاقت حيل الغزاة والفاتحين من عهد الرومان الى يومنا هذا في اجتياحه واكتساحه واخضاعه اخضاعاً تاماً الى اجل بعيد بحيث يصبح في حالة من العجز وضعف العزيمة يؤمن معها رجوعه الى الانتقاض وخلع نير الغزاة .

ونحن في غنى عن القول ان بين الاقطار الشرقية اليوم روح تضامن جديد تجلى بعد الحرب العظمى باجلى مظاهره وعلى منوال لا يدع مجالاً للريب في ما ينتظر ان يكون له من الاثر العميق في نهضة الشرق الحديثة . ولا ادل على وجود هذا الروح واطراد نموه وتأصله يوماً بعد يوم من ولع الطبقات المتنورة في هذه الاقطار بتتبع الاحاديث التي تدور على مختلف الشئون الشرقية واستقصاء اخبارها والعناية بما صدق من انبائها . وما يقال عنها في الدوائر العليا والاندية السياسية من الاقوال التي تتداولها الالسن وتتناولها الاقلام بالنقد والتعليق تمييزاً لغثها من سمينها وفاسدها من صحيحها . ولا غرو فان من مستلزمات كل نهضة ، كنهضة الشرق الحديثة التي تستمد قوتها الحيوية من جرثومة الحياة الصحيحة الكامنة فيه من اقدم ازمنة التاريخ ، ان تتناول الجليل والحقير من الشئون وتشمل سائر طبقات الامة التي اتيح لها ان تأخذ بها وتوافرت لها معداتها واسبابها ، وان تبعث فيها روح الاهتمام في كل

امر من الامور الهامة سواء كان مما يمسها او يمس اي قطر من الاقطار المجاورة لها او التي لها صلة ما بها . وهذا يعود في الغالب الى ما ينشأ في نفسها من الشعور بالحاجة الى العناية بمرافقها والاهتمام في ما ترى لها مصلحة في الاهتمام به من شئون هذه الاقطار ادبية كانت او مادية . وهذا علاوة الى ما هنالك من الاعتبارات الجوهرية التي لها شأنها في حمل الامة الحية الناهضة على ان تتوق الى توثيق عرى المودة والاخاء مع الامم التي تربطها بها روابط سياسية واجتماعية ولغوية ونحو ذلك من الروابط الوثيقة، كما هي الحال بين مصر وسورية ، اللتين تعدان شقيقتين تتقاسمان شقاء الحياة وهناءها ، وهو ما كان شأنهما في جميع ادوار التاريخ .

نكتب اذن عن هذا الجزء من سورية ونحن موقنون ان ما نكتبه يصادف هوى من نفوس القراء ، ولا سيما انه اشد ارتباطاً واوثق صلة بوادي النيل من سائر اجزاء الديار السورية ، اذا استثنينا فلسطين وفينيقية . وهي صلة ترتقي الى ازمنة عريقة في القدم كما سنبين ذلك في ما يلي :

والكلام عن جبل الدروز يسوقنا الى الكلام عن حوران التي هو جزء منها . وحوران من اخصب بقاع الشرق ان لم تكن بعد وادي النيل اخصب هذه البقاع . وقد بلغ من عظم شأنها في العالم القديم انها سميت باهراء الرومان . وهذا ما حدا بالغزاة والفاتحين من قياصرتهم وقادة جيوشهم الى اكتساحها واخضاعها لنيرهم حقبة من الدهر اسوة لها بمصر ، التي اجتاحوها لغناها وخصب ارضها ، فكان الطمع في الحالين رائد هؤلاء الغزاة . وقد جروا في حكم البلادين على وتيرة واحدة . ولا غرو فالاسباب المتماثلة تفضي حتماً الى نتائج متماثلة . واذا لم يكن من صلة بين البلادين سوى هذه الصلة التاريخية ، التي لا يمكن ان تردّ الى غير هذا السبب الجوهري ، يكفي بها دليلاً على ان وحدة المصلحة في مقدمة العوامل التي جمعت بينهما ومهدت السبيل الى ائتلافهما ائتلافاً تردد صداه في صفحات التاريخ وظل اثره شاخصاً للعيون الى ايامنا هذه

* * *

حوران

حوران من اقدم البلدان العامرة التي اكثر المؤرخون من ذكرها وافاضوا في وصف حضارتها القديمة ومجدها العريق . وهي حافلة بالآثار التاريخية التي ترتقي الى اقدم الازمنة . وفيها كثير من الكتابات الاثرية بين يونانية ولاتينية وعربية بحت وعربية محرفة او مشوهة نظير النبطية . وقد زارها كثيرون من السياح وكتبوا عنها، ومعظمهم من الالمان والفرنسويين، واخصهم دي لا بورد، وقد زارها في سنة ١٨٣٧ . وري وقد انشأ كتاباً في رحلته اليها في سنة ١٨٦١ على اثر مذابح لبنان ودمشق . ودي فوجه ، وقد وضع كتاباً عنها بعنوان « سورية الوسطى وهندسة ابنيتها الاثرية » وشوماشر وقد كتب عنها في سنة ١٨٨٦ . ونورتن الذي انشأ كتاباً عنها بعنوان « بين عجلون ولندن » في سنة ١٨٩٠ . وهوبر وقد وضع كتاباً عنها بعنوان « رحلة الى البلاد العربية » في سنة ١٨٩١ . وديسود ومكلو ، وقد كتبا عنها في سنة ١٩٠١ بعنوان « رحلة الى جبل الدروز » . وقد زارها الدكتور فيشر ووضع لها خريطة متقنة نشرت في المجلة الالمانية « زيتشريفت دتشن بالستينا فيرين » مجلد ١٢ سنة ١٨٨٩ .

اول ما ذكرت حوران في التوراة، وذلك في معرض الكلام عن تخوم ارض الميعاد . وكانت يومئذ من اعمال فلسطين . وذكر ملكها عوج في تثنية الاشتراع (٢١ — ٣٣ وما يليه) وقد حاربه الاسرائيليون وكسروه في ادرعي (اذرع الحالية) ومما جاء عنها في وصف الحرب التي شهروها عليه انه لما دنوا منها هالهم مشهد غابات السنديان التي كانت تغشى جبالها ووهادها فهلعت قلوبهم جزعاً ورعباً (ح . ع ٢٧—٦ ص ٢ : ١٣) . وكانت حوران في ذلك العهد اكثر البقاع السورية خصباً واوفرها كلأ وفيها من المواشي ما لا يقع تحت حصر . وكانت تعرف باسم باشان . غير ان حدودها الاصلية لم تكن تتجاوز المنطقة الجبلية التي كان يطلق عليها قديماً اسم اسلامانوس (واليوم جبل الدروز) ثم تخطتها على توالي الاحقاب الى بلاد باشان

برمتها . ولما دخلت في حيازة الرومان قسمت الى خمس مقاطعات سميت باسماء مختلفة بحيث لم يعد اسم حوران يطلق الا على حوران الاصلية ، التي جعلت مع السهل المعروف اليوم باسم النقرة ، واحدة من المقاطعات الخمس المذكورة .

ومما يجدر بالذكر من تاريخ حوران انه لما استولى اليونان على سورية الجنوبية كانت في جملة الاقاليم التي دخلت في حيازتهم . وكان حكمها من الادوار التي تقلبت فيها سورية في عهد السلوقيين خلفاء الاسكندر وفي عهد الرومان كحكم سائر الاقاليم السورية . فكانت تتجاذبها الاهواء وتتقاذفها مطامع الفاتحين . تعلو حينًا الى اسمى قمم المجد وتهبط حينًا الى اسفل دركات الذل والانحطاط . لا تستقر على حال ، فلا يكاد الدهر يبسم لها حتى ينقلب عليها عابسًا مكفهرًا . وقد وجد فيها كثير من الابنية الاثرية بين يونانية ورومانية ومزارات ومدافن على مثال مدافن تدمر وابنيتها مما يدل على انتشار نفوذ اليونان والرومان في هاتيك البقاع المترامية ، لان ما وجد منقوشًا عليها من الكتابات يشير الى انه يرتقي الى الزمن الذي اقيمت فيه وان يكن مشوه اللفظ .

وقد دخلت حوران ردحًا طويلا من الدهر في حيازة الانباط اصحاب بطرا . وتولاها بنوغسان حقبة من الزمان . وعصر الغساسنة كان آخر ما مر على تلك البلاد في العهد القديم من عصور الرقي والفلاح ، وهو يوافق القرون الاولى لظهور النصرانية في تلك الاصقاع .

وكانت عاصمة البلاد في جميع اطوارها بسطرا ، وهي بصرى التي تعرف اليوم باسكي شام (اي الشام القديمة)

وعصر العرب آخر ماتقلبت فيه من الادوار التي تركت في نفوس سكانها اثرًا عميقا جعل لها صبغة مخصوصة لم تقو الايام على محوها او تمويهها ، لامتزاج الشعوب العربية الغازية باولئك السكان امتزاجا ازال ما كان عالقا في نفوسهم من النزعات

القديمة ، التي طبعت بها على عهد اليونان والرومان وغيرهم من اخلاقهم وعاداتهم وامزجتهم ونعمهم ، بحيث طبعهم بطابع عربي بحت لا تخلو بقعة في هاتيك الاصقاع من آثاره الناطقة . وهذا ما يحملنا على ان نجعل لتاريخ العرب فيها النصيب الاكبر من بحثنا هذا ، ولاسيما ان الطابع العربي لا يزال الى اليوم من اعظم مفاخرها والاخلاق العربية من اجل مميزاتها .

* * *

دولة الانباط

اول من جاء الى حوران وتملكها من الدول العربية القديمة انما هم الانباط اصحاب بطرا . ظهروا فيها قبل التاريخ الميلادي . وكان مقرهم اولا في الجنوب الشرقي من فلسطين ، وما لبثوا ان استتب لهم الامر في هاتيك الاصقاع حتى قويت شوكتهم واستفحل امرهم وامتدت فتوحاتهم الى اقاصي البلاد وتناولت في ابان اتساعها معظم الاقاليم الشمالية من جزيرة العرب فدانت لهم الشعوب والقبائل التي كانت ضاربة فيها. ومن البلدان التي كانت داخلة في منطقة سيادتهم حوران والبلقاء ومواب وشبه جزيرة سينا وارض مديان واعالي الحجاز . وكانت مدائن صالح وهي بطرا وبصرى واذرع وعمان وجرش والكرك والشوبك وايلة والحجر من اشهر المدن التي دخلت في حيازتهم . وقد وجد بين اطلال تلك المدن كثير من الابنية المتهدمة على أنقاضها كتابات بلسانهم ، ولا سيما في بطرا والحجر والعلاء وحبران وصلخد ومادبا وامتان والوادي المكتّب في سينا .

وكانت مملكة الانباط تمتد على مسافة مئة ميل طولا وعشرين ميلا عرضاً وهي عين مملكة الادوميين ، وارضها صخرية . وكانت تسمى قديماً « بلاد الجبال » وتعرف عند العرب بالعربية الحجرية (ارابيا بتريا) نسبة الى عاصمتها بطرا (الحجر) . واليهود كانوا يسمونها « سلاع » وهو الحجر في اللغة العبرانية . اما مملكة ادوم

فكانت تعرف عند اليهود باسم « سعير » وعند اليونان باسم « ايدوما »

اقدم سكان العربية الحجرية الحوريون وهم سكان الكهوف القدماء . ثم جاء الادوميون وحلوا محلهم وكانت عاصمتهم بطرا . وقد جاء في التوراة عنهم ان شاول حمل على ادوم في القرن العاشر قبل الميلاد ولكنه لم يظفر منها بطائل . ولما تولى داود استفتح مملكتهم واقام فيها حامية من جنده . وفي ايام سليمان حاول قائد من الادوميين خلع الطاعة والانتقاض على الدولة ففشل . وما برحوا تحت سيطرة لاسرائيليين الى ايام يهوشافاط ففازوا بالاستقلال . ولما حمل نبوخذنصر على ورشليم انجدوه فكافأهم بتأييد سلطتهم على ادوم وتوسيع نطاقها . وبينما هم منصرفون الى نشر سلطانهم غربًا دهمهم الانباط من الشرق واوغلوا في بلادهم وغلبوهم على امرهم فاندمجوا فيهم واصبحوا امة واحدة . فانشأ الانباط هناك دولة عربية سابقة للقرن الرابع قبل الميلاد ظلت قائمة الى اوائل القرن الثاني بعده ، حيث دخلت البلاد في حيازة الرومان سنة ١٠٦ للمسيح

واقدم ما دوّن من اخبار الانباط لا يتخطى القرن الرابع قبل الميلاد على اثر فتوح الاسكندر في الشرق ، حيث ذكر ان انطيغونس حمل عليهم في سنة ٣١٢ ق . م . لكنه باء الفشل . ثم جرد عليهم حملة اخرى تحت قيادة ديمتريوس فحاصر بطرا عاصمتهم حصاراً شديداً فعجز دونها ورأى ان الفائدة المرجوة من فتح مدينتهم لا توازي الخسارة التي كان يتوقعها من ذلك الفتح ، فارتد عنها قانعًا من الغنيمة بالاياب . واستفحل امرهم بعد ذلك فنظموا مملكتهم وضربوا نقوداً وولوا عليها ملوكا منهم . واقدم من وقف الباحثون على اسمه من ملوكهم الحارث الاول . وقد حكم في سنة ١٦٩ ق . م . وآخر من ذكر من هؤلاء الملوك مالك الثالث ؛ وقد حكم من سنة ١٠١ الى سنة ١٠٦ وهو الذي دخلت مملكتهم لعهده في حيازة الرومان . واحصوا من ملوكهم ١٨ ملكاً اشهرهم الحارث الثالث فيلهلّين (اي محب اليونان) ابن زيال (٨٧ — ٦٢) . فقد كان له شأن عظيم في تاريخ هذه الدولة . تغلب على

البقاع في سورية واستحوذ على دمشق وهي يومئذ عاصمة السلوقيين خلفاء الاسكندر وحاصر اورشليم مدة ثم ارتد عنها الى عمان . وهو اول من ضرب النقود من ملوك الانباط اقتفاء لأثر اليونان .

واشتهر منهم ايضا الحارث الرابع ، ويسمى آيتياس وهو حمو هيرودس انتيباسيوس . وقد وقعت بينهما نفرة افضت الى الحرب . لان هيرودس اراد ان يتزوج هيروديا امرأة اخيه فيلبس واخت اغريب الكبير ، فشق الامر على بنت الحارث وعادت الى بيت ابيها ، فهاج ذلك في صدر الحارث عاطفة الانتقام من صهره فشهر عليه الحرب ، وكان الظفر فيها للحارث . فرفع هيرودس امره الى روميه فاحب الامبراطور طيبا ريوس ان ينتقم له من الحارث فأدركه اجله قبل ان يتم له ذلك (٣٧ م) . وظل الحارث في دمشق . وفي اثناء وجوده هناك فرّ منها بولس الرسول على نحو ما جاء في الكتاب المقدس

وكأن عودة بنت الحارث الى بيت ابيها وفوز الحارث في الحرب التي اثارها من اجلها فتحا عيون النساء لرؤية ما كان محجوبا عنهن من حقائق الحياة ومطالبها وبعثاهن على التطلع الى مجالي السلطة والطموح الى مباراة الرجال في ما هنالك من الاعمال التي لا شأن لهنّ فيها ، متوسلات بذلك الى احتكار السلطتين الروحية والزمنية وخوض معترك الحياة السياسية والانصراف الى مهامها والايغال في مسالكها الوعرة ومفازاتها المترامية طمعا في احراز الشهرة والاستئثار بالسيادة من دون الرجال . وقد بلغ من نفوذهن في ذلك العهد ان ضربت النقود باسماء النافذات منهن مع اسماء الرجال واكثرن من التدخل في شوؤن الدولة منتحلات الاعذار لبسط نفوذهن عليها ، حتى تراخت عزائم حكامها واقطابها واصبح الامر فيها فوضى ، فتطرق اليها الضعف واخذت بالانحلال وهذا شأن كل دولة عظم فيها شأن النساء . ولا ادل على ذلك مما وقع للرومان عندما آذن كوكب سعدهم بالافول . فان ما توالى على امبراطوريتهم العظيمة من النكبات والكوارث التي آلت الى انحلالها

وانقسامها على نفسها يرجع معظمه في الغالب الى تدخل النساء في ما لم يكن لهن ان يتدخلن فيه من الشئون السياسية الهامة والمسائل الادارية الكبرى

ولما اتسعت مملكة الانباط كان الرومان في ابان صولتهم وقد بلغوا اعلى ذروة من قمة المجد والسلطان ، ولا سيما بعد ان استولوا على مصر والشام . فطمعوا بهم وحاربوهم على عهد اغسطس غير انهم ارتدوا عنهم لما رأوا من شدة بأسهم واستبسالهم في الذود عن حياضهم . وما برح الانباط يتدرجون في مراقي الحضارة ومملكتهم تزداد ثروة ومناعة الى ان كانت ايام تراجان الامبراطور الروماني المشهور . فاستعان عليهم بالجند المصري وجرد عليهم حملة افتتحت عاصمتهم بطرا سنة ١٠٦ ملادية . وضرب الرومان نقودا خاصة بذلك الفتح على سبيل التذكار . فانحلت من ذلك الحين قواهم فاخلدوا الى الدعة واختلطوا باهل البلاد الاصليين من السريان والاراميين وانتشروا على حدود سورية وفلسطين مما يلي البادية بين سينا والفرات . وكان هذا آخر العهد بدولتهم فلم تقم لهم بعده قائمة .

وكان عدد الانباط عشرة آلاف رجل ومدار معيشتهم على الاتجار بالعطريات وغيرها ، يحملونها من اليمن الى مصر وشواطئ البحر المتوسط . ولم تكن تمر تجارة في ايامهم بين الشرق والغرب الا على يدهم . وكانوا يحملون الى مصر على الخصوص القار لاجل التحنيط . ولما ذهبت دولتهم تحولت الطرق التجارية من بطرا عاصمتهم في الجنوب الى تدمر في الشمال

اما اصل الانباط فيذهب فريق من ثقات المؤرخين ، وفيهم المرحوم جورج زيدان الشهير الى انهم عرب . والذين عرفوهم من مؤرخي اليونان سموهم عرباً بدليل ان اسماء ملوكهم عربية . ومن المعلوم ان للاعلام شأناً كبيراً في بيان اصول الامم

لغتهم — واما لغتهم فكانت العربية . وكما يقول المرحوم زيدان في كتابه « العرب قبل الاسلام » ان ما وجدوه منقوشاً على آثارهم باللغة الآرامية لا عبرة به لان الآرامية كانت في ذلك العهد لغة الكتابة مثل اللغة الفصحى في عصرنا هذا

وهي اللغة التي كانت المفاوضات التجارية والسياسية تجري بها بين الامم الحية في القرون الاولى قبل الميلاد في بابل واشور وفارس ومصر وفلسطين و بطرا . غير انه تفرع عليها مع توالي الايام عدة لغات عرفت بالاقلام الآرامية ، اشهرها القلم التدمري في تدمر والنبطي في بطرا وغيرها . واشكالها متماثلة تماثل تلك اللغات . وهي في كل حال غير لغة التكلم . الا ان اللغتين متقاربتان في اكثر التراكيب والالفاظ ومرتبطتان باصلهما القديمة لغة بدو الآراميين او اللغة البابلية القديمة بحركات الاعراب في اواخر الكلم في بعض الاحوال . والخلاصة ان اللغة الآرامية التي كتب بها الانباط غير الآرامية المعروفة اليوم عند جمهور العلماء . فان في تلك اللغة التي كانوا يتكلمونها اثراً من لغة العرب ينم على ان اصحابها عرب ، وهي تختلف عن اللغة العربية التي عرفت في صدر الاسلام .

اما الخط النبطي ففي مقدمة الخطوط التي شاعت في العصور القديمة وقد اقتبسه العرب في القرون الاولى للميلاد المسيحي ، وظل هو والخط السرياني مستعملين عندهم الى ما بعد الفتح الاسلامي . والنبطي كان اصلاً للخط النسخي والسرياني اصلا للخط الكوفي الحيري .

بطرا — اما عاصمتهم بطرا فمدينة صخرية قائمة في مستوٍ من الارض محاط بسلسلة من الصخور العظيمة . وموقعها في وادي موسى عند ملتقى طرق القوافل بين تدمر وغزه وخليج فارس والبحر الاحمر واليمن . وكانت في ايام الانباط عامرة حافلة بانواع المتاجر . ولما انقرضت دولتهم تخربت وانمحى شأنها ونسجت عناكب النسيان على اسمها . ولم يبق منها الى اليوم سوى اطلال وآثار متهدمة تنم على عظمتها الغابرة ومجدها العريق . واهم هذه الآثار ما بقي من خزنة فرعون ، وهي بناء شامخ منقور في صخر وردي اللون على واجهته نقوش كتابية بالقلم النبطي . وبجانبه مسرح منقور في الصخر ويليه سهل واسع الاطراف فيه كهوف عليها كثير من النقوش اهمها كهف يقال له الدير . وهذه الكهوف كانت مساكن الحوريين القدماء . وهي الآن

ملاجئ، يأوي اليها الفقراء في فصل الشتاء فراراً من البرد والامطار . ويبلغ عددها نحو ٧٥٠ كهفاً او مدفناً .

واول من اسس بطرا الادوميون. وجاء في التوراة انها في ايام امصيا (٨٣٧ ق.م) كانت حصناً منيعاً . وذكرت فيها باسم « سلاع » اي الحجر . فلما صارت الى الانباط وعرفها اليونان سموها بطرا بمعنى سلاع . وقد شاهد العرب آثارها بعد الاسلام وسموها « الرقيم » ولعلهم ارادوا بهذه التسمية « خزنة فرعون » . واشتهر هذا المكان في دولة بني امية وكان قبلة انظار الخلفاء ومحط رحالهم ولا سيما يزيد بن عبد الملك . وزعموا ايضاً انه المكان الذي حل فيه اهل الكهف . على ان علماء الآثار لم يوفقوا حتى الآن الى تعيين مكان الكهف الذي رقد فيه الاخوة السبعة رقادهم الطويل المأثور . وفي مكان واقع في الشمال الغربي من طرسوس احدى مدن ولاية آطنه المعروفة عند المؤرخين بمدينة مار بولس كهف كبير من التقاليد الموروثة عند سكان تلك الولاية انه الكهف المنسوب الى اولئك الاخوة .

وقال احد مؤرخي العرب في وصف عاصمة الانباط : « ان الرقيم مدينة بقرب البلقاء وهي صغيرة بيوتها منحوتة في صخر كأنها صخر واحد »

ويؤخذ مما كتبه المقريزي عنها ان بعض المماليك الذين هربوا من القاهرة في سنة ٦٥٢ هجرية شاهدوا اطلال بطرا ووجدوا فيها نقوداً قديمة من ضرب اليهود والانباط .

والخلاصة ان بطرا من المدن القديمة التي تنم آثارها على حضارة عريقة وتاريخ مجيد حافل بالحوادث الخطيرة والاعمال العظيمة . ولا ادل على ذلك مما لا يزال قائماً من ابنيتها ومشهوداً من مظاهر عظمتها التي تتجلى على الخصوص في ما هنالك من المدافن الاثرية الفخمة ، التي هي اقرب الى الدور والقصور منها الى المدافن والقبور ، وفي ما لا يزال شاخصاً للانظار من آثارها كلها وقصورها وحماماتها وابوابها واسوارها واقنية المياه الممتدة اليها ، والاعمدة الضخمة التي لا تزال قائمة في كل بقعة

منها ، والنقوش الجميلة التي تملأ ابنيتها ، والصور البارزة والغائرة المرسومة على هذه الابنية الاثرية ، مما يدل على ان اصحابها بلغوا شأواً بعيداً من الحضارة وان عاصمتهم التي هي المثل الاعلى لحضارتهم هذه بلغت اقصى مراحل العمران . واهم ما يستوقف الابصار من آثارها ومعالم مجدها قصر فرعون او خزنة فرعون وهو هيكل ضخم متسع الجوانب شامخ البنيان فيه نقوش ورسوم جميلة دقيقة بينها صورة تمثل الالوهية ، وتدل هندسته على انه من ابنية الرومان . وهناك هيكل آخر يعرف بالدير وهو يمتاز بفخامته ودقة بنائه وزخرفه . والمسرح وهو بناء ضخم منقور في الصخر وفيه ٣٣ صفاً من المقاعد الحجرية لثلاثة آلاف نفس . اما المدافن فاقدمها محاذية للمسرح وهي منقورة في الصخور المقابلة له ومقسومة الى اربعة صفوف الواحد فوق الآخر وما بقي منها واقع في جهات مختلفة من المدينة واهمها مدفن لم يتم نقره واقع بقرب قصر فرعون . وعدة مدافن رومانية مبنية على الطراز القورنتي البديع . ومدفن آخر يعرف بالقبر ذي الطبقات الثلاث . وهو اكبر مدافن بطرا وواجهته على مثال واجهات القصور العظيمة . ومدفن الحاكم وهو قبر سكستوس فلورنتيوس واسمه منقوش على مدخله بحروف لاتينية ويعد من افخم مدافن بطرا واجملها . ومدافن خربة النصارى وهي من اجمل مدافن المدينة . ومدفن الجند . ومدفن الجنينة وهو على مثال الهياكل . ومدفن الاسد وعلى مدخله تمثالان يمثلان اسدين عظيمين . وبناؤه يرتقي الى النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد . وهناك ابنية اثرية اخرى بين هياكل وحصون ترتقي الى عهد الرومان والعرب والصليبيين واعمدة حجرية ضخمة اقيمت رمزاً للالوهية التي كانت تمثل في الهياكل عند جميع الشعوب السامية ، وغير ذلك من الآثار التي لا متسع لذكرها في هذه العجالة

التنوخيون وبنو سليح والضجاعمة

وبعد ان انقرضت دولة الانباط ظهر التنوخيون اصحاب قضاعة وانشأوا دولاً في بلاد الشام والعراق وتملكوا معظم الاقطار والبلدان التي دانت لسلطان الانباط

وفي جملتها حوران . ولم يطل عهدهم بالحكم فخلفهم قوم من قضاعة يقال لهم بنو سليح. وهؤلاء لم يكونوا اسعد حظاً منهم، فما كادوا يستقرون في البلاد ويشتد ساعدهم ويستتب لهم الامر فيها حتى دهمتهم نوائب الدهر وقضت على دولتهم . فقام من بعدهم الضجاعمة وهم بطن منهم فبسطوا سيادتهم على القسم الاكبر من شمالي الجزيرة، فكانت حوران وما جاورها من الاقاليم في جملة ما دخل في حيازتهم . ولكنهم لم يتركوا فيها آثاراً تحيي ذكرهم وتنبئ باخبارهم ولم يلبثوا ان وطدوا اقدامهم فيها حتى اجتاحها الغساسنة بعد سيل العرم المشهور واكتسحوها

دولة الغساسنة

جاء الغساسنة من اليمن ونزلوا على ماء في تهامة يقال له غسان فنسبوا اليه . ثم ارتادوا مشارق الشام وفيها الضجاعمة فاجلوهم عنها وانشأوا لهم دولة تحت رعاية الروم. فنصبوا مضاربهم اولا في البادية بقرب حوران . ثم انتقلوا الى البلقاء واذرع . ولم يلبثوا ان استقر بهم المقام حتى عظم شأنهم واتسع نطاق مملكتهم ولا سيما في عهد الحارث بن جبلة واولاده حيث بلغت اقصى حدود اتساعها . وبسطوا نفوذهم على سائر بقاع الشام من حوران في الجنوب الى حلب في الشمال . فكان لسطوتهم صدى في كل صقع من هاتيك الاصقاع حتى تدمر، ودان لهم عرب سورية وفلسطين من بدو وحضر . وانشأوا المدن والقرى وشادوا كثيراً من القصور والمعابد والاديار والقلاع وبنوا القناطر واصلحوا الآبار . وكانت عاصمتهم بصرى في حوران وتعرف انقاضها الآن باسكي شام

ولقد تضاربت اقوال المؤرخين وتباينت آراؤهم في مدة ولايتهم. فزعم بعضهم انهم حكموا ستمئة سنة وان ملوكهم ٣٢ ملكا . وزعم بعض آخر ان مدة حكمهم لم تطل اكثر من قرن وبعض القرن وان عدد ملوكهم لا يتجاوز العشرة . وفي رواية « تاريخ العرب قبل الاسلام » انهم حكموا زهاء اربعمئة سنة . وقد صرفوا زمناً طويلا في ضواحي الشام يتوارثون الامارة والروم لا يعرفون من امرهم شيئاً،

مع انهم انشأوا دولتهم تحت رعايتهم، لانهم لم يفتقروا في بادىء الامر الى معونتهم، لاعتدادهم بقوتهم. وما برحوا كذلك حتى تضعضعت احوال الدولة الرومانية بالحروب الاهلية وانقسمت على نفسها واستبد قسطنطين بالحكم وانصرف الى تأييد النصرانية، وكانت حروب الروم والفرس في اواسط القرن الرابع فاضعفت المملكة الرومانية. وفي اوائل القرن الخامس اخذ الروم يشعرون بضعفهم ورأوا الفرس يستنجدون عليهم عرب العراق فاضطروا الى استنصار عرب الشام وهم الغساسنة. فنصروهم وابلوا بلاء حسناً في حروبهم ضد الفرس فكافأهم الروم باعطاء امرائهم لقب ملوك غسان واختلطوا بهم وصاهروهم، وهو تنازل من الرومان لم يظفر به شعب من الشعوب الشرقية التي اخضعوها لسلطانهم. فتنصر الغساسنة على توالي الايام واصبحوا من اعظم انصار المسيحية في القرون الغابرة. واخص من ذكر من ملوكهم عمرو الاول (س ١٨٠ م.). وقد عني بامر النصرانية عناية كبرى. فازهرت في ايامه وشاد كثيراً من الكنائس والاديار.

واول من استنصره الروم من امراء الغساسنة الامير جبلة، نصرهم في سنة ٤٩٧ م. وهو والد الحارث اكبر ملوك غسان واكثرهم ذكراً في كتب اليونان (٥٢٩ — ٥٦٩). وكان الحارث عميل كسرى انو شروان ملك الفرس فاوعز اليه كسرى بمحاربة المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة فحاربه في سنة (٥٢٨ — ٥٢٩ م) ونصر الروم في وقائع كثيرة اوها واقعة السامرة فانتصر واطلقوا عليه اسم «باسيليوس» ومعناه في لسانهم «الملك». ثم لقبوه بالبطريق وهو لقب اشراف الروم وعمالهم. وعرف من ذلك الحين باسم «البطريق الحارث». وكان يلقب احياناً «فلابيوس» وهو من القاب القادة عند الروم. اما العرب فلم يحفظوا من القابه الا لقب الملك واطلقوه على سائر امراء هذه العشيرة عملاً بالقاعدة التي كانت متبعة قديماً في الديار السورية وهي ان يلقب رؤساء الامارات فيها بالملوك ولا سيما متى كانوا على جانب من السطوة واهلا لجلال الامارة وهيبتها، كما كانت الحال في لبنان مثلا حيث كان

امراؤه يلقبون بالملوك يوم كانت مدينة جبيل قاعدة امارة لبنان الى آخر القرن الرابع للميلاد

وكان للحارث مقام رفيع عند الروم وبلغ من شهرته في الشجاعة وشدة البأس ان اسمه جرى مجرى الامثال واصبح مفزعة للاطفال تذكره الامهات على مسامعهم على سبيل التهديد . وكان من اكبر انصار بليزاريوس القائد الروماني المعروف في الحرب التي شبها على الفرس (س ٥٣١ م) بصدهم وصد هجمات العرب المناذرة عن مملكة الروم . وكان على عرش الروم يومئذ يستنيانوس العظيم وعلى عرش ايران كسرى انو شروان . ثم كانت الحرب بين الغساسنة واللخميين عرب العراق . فكانت حرب طاحنة افضت الى سقوط قنسرين في قبضة الحارث بعد ان هلك فيها بعض ابنائه وقتل المنذر بن ماء السماء . وتلتها الحرب المعروفة بيوم حليمه . وكانت معركة هائلة بين عرب العراق وعرب الشام (الغساسنة) وقد قتل فيها ابن المنذر

وزار الحارث القسطنطينية في سنة ٥٦٣ م وهو الذي توسط لامرىء القيس في الذهاب الى ملك القسطنطينية بعد ان اودع السموأل دروعه في الحكاية المشهورة . وتوفي الحارث سنة ٥٦٩ م بعد ان صرف اربعين سنة في الحروب والغزوات . وخلفه ابنه المنذر المعروف بالنعمان وسمي بطريق . ونصر الروم في حروب كثيرة وزار القسطنطينية فرحب الروم به واكرموا مثواه والبسه الامبراطور طيباريوس التاج مع ان والده لم يلبس الا الاكليل . ويسميه المؤرخون « المنذر ملك العرب »

ثم توالى ملوك غسان ولم يذكر المؤرخون من اعمالهم شيئا يجدر بالذكر الا في اوائل القرن السابع حيث زحف الفرس على سورية سنة ٦١٣ م فتضعضعت دولة العرب فيها بذلك الفتح . وكانت حوران قبل ذلك قد اخذت في الانحطاط . ومنشأ هذا الانحطاط يرتقي الى اواسط القرن الثالث للميلاد يوم شرعت مملكة فارس في النهوض وبرزت تدمر الى ميدان الجهاد مجاراة لممالك الشرق الناهضة وتمكن الفرس من تحويل طرق التجارة من الجنوب الى الشمال وشقوا لها طريقا جديداً على الفرات

والخليج العجمي . فانحط بذلك شأن حوران وعاصمتها بطرا وما برحت تنازع البقاء حتى غلبت على امرها وصارت الى ما صارت اليه الممالك المنقرضة

وآخر من ذكر المؤرخون من ملوك الغساسنة جبلة بن الايهم ظهر حين قام هرقل يريد استرجاع سورية من الفرس . وحكايته مع عمر بن الخطاب في صدر الاسلام مشهورة .

وصفوة ما يقال في نهاية دولة الغساسنة انها كانت نتيجة لقيام دولة العرب المسلمين وتعاظم نفوذها وانبساط رواق سلطانها في الديار الشامية . لان الغساسنة كانوا من حلفاء الروم اعداء العرب فكان من البديهي ان تشتد وطأة العرب عليهم. فلم يقووا على الوقوف في وجههم والثبات على مقاومتهم ولا سيما بعد ان ضعفت شوكة الروم واكرهوا على الجلاء عن معظم البلاد السورية، خصوصاً بعد ان لقوا ما لقوا من بأس مردة لبنان وبسالة رجاله الابطال الذين جرت شجاعتهم مجرى الامثال . وما برح الغساسنة يغالبون الدهر حتى غلبوا على امرهم وتشتت من بقي منهم احياء في انحاء الديار الشامية وحل المسلمون محلهم . وكثيرون من هؤلاء لاذوا بنصارى جبل لبنان واستوطنوا سواحله الشمالية . وبين الذين يقيمون اليوم في تلك السواحل من يدعون انهم ينتمون باصلهم الى بني غسان وفي ذلك آراء ليس هذا مقام ايرادها والتبسط في موضوعها .

آثار الغساسنة

اما الامكنة والابنية الاثرية التي ينسبها المؤرخون الى الغساسنة فاهمها قسطل في البلقاء واذرع من اعمال الشراة والجربا على مقربة منها . وقد بنوا نجران ومعان. وشادوا من القصور قصر الغدير والقصر الابيض وهو يمتاز على سائر القصور التي شادوها بدقة نقوشه وجمال زخرفه . فانه حافل بصور منقوشة تمثل الطيور والخيول والفهود والاسود والبقر والفيلة والسمك . وفيه نقوش من الطراز الفارسي الساساني مما يبعث على الظن ان الغساسنة شيدوه بايعاز من الروم على حدود البادية لرد

غزوات العرب عن البلاد . وقد بني في منبسط من الارض مربع الشكل ومحاط بسور ضخم يعلوه برج شامخ . وقد كتب عنه الاستاذ دوسو الفرنسوي في معرض كلامه عن آثار تلك البلاد فقال ما يؤخذ منه انه كان في اطراف حوران خط دفاع يفصل بينها وبين البادية مؤلف من عدة حصون ، منها القصر الابيض والمنارة ودير الكهف والقلعة الزرقاء . وبين هذه الحصون ابنية كلها من عهد الغساسنة

وينسب اليهم ايضاً قصر المشتى وهو قائم الى اليوم على علو شاهق تبرز منه نقوش جميلة وكتابات تقادم الدهر عليها ، وهي لا تزال تحدث بعظمة الغساسنة وحضارتهم . ومن الصروح التي شادوها قصر الفضا وقصر منار وقصر السويداء وقصر بركة وقصر ابين . ومن الاديار دير حالي ودير هنا ودير النبوة . وهذا علاوة على الابنية الاخرى العظيمة التي اقاموها نظير القناطر والجسور واهمها جسر عاملة ، والصهاريج التي احتفروها في رصافة الشام وهي باقية الى اليوم. وغير ذلك كثير من الابنية والصروح والابراج التي ذكرها مؤرخو العرب والى الآن لم يهتد الباحثون الى اماكنها .

وفي جملة الابنية الاثرية التي تنسب الى الغساسنة دير ايوب وهو بناء ضخم قائم على رأس قمة في الشمال الغربي من قرية الشيخ سعد التي كانت في عهد الاتراك مركزاً لمتصرفية حوران ردحاً من الزمان . ويزعم بعض مؤرخي العرب ان عمرو الاول من ملوك بني غسان هو الذي انشأ هذا الدير . ولكن بعض الكتبة الغربيين ذهب الى ان انشاءه يرتقي الى اواسط القرن الثالث ولم يكن للغساسنة يد في ذلك. والذي يؤخذ من اقوال المؤرخين الثقات ان هذا الدير الذي هو اليوم معبد اسلامي مهجور ولم يبق قائماً منه سوى جناح صغير، كان كنيسة قديمة يرتقي انشاؤها الى عهد الغساسنة وقد بنيت تذكاراً لايوب البار الذي يذهب المؤرخون الى انه عاش في بلاد باشان ، وعلى قول بعضهم انه عاش في ارض الجولان . ومن المؤلفين العرب والكتاب المسيحيين الذين عاشوا في القرون الوسطى من قال انه وُلد في جوار قرية نوى . وفي الجهة الغربية من قرية الشيخ سعد بناء قديم يعرف بمقام ايوب ،

وهو المكان الذي دفن فيه ايوب البار وزوجته على زعم بعض المؤرخين . ومن احترام اهل حوران لهذا المقام ليستدل على انه يرتقي الى عهد سابق لظهور الاسلام

ومما يجدر بالذكر من امر هـذا البناء التاريخي ان البعثة الاثرية التي ارسلتها حكومة تشكوسلوفاكيا الى حوران في صيف سنة ١٩٢٤ برئاسة الاستاذ هروزني العالم الاثري الشهير والاخصائي في علم الكتابات الحثية ذات الزوايا التي استكشف مثال منها في بوغاز كوي سنة ١٩٠٧ اتخذت قرية الشيخ سعد قاعدة لاعمالها وعثرت بآثار نفيسة لها شأن خطير واهمية كبرى عند علماء الآثار منها تمثال اسد ضخم من الحجر الاسوديستدل من شكله انه من الطراز الحثي وحجر منقوش عليه اسم رعمسيس الثاني المعروف عند مؤرخي اليونان باسم « سيزوستريس » وهذا ما حمل البعثة على المضي في اعمال النقب حتى عثرت على عاديات ترجع الى نحو اربعة آلاف سنة على مثال العاديات التي وجدت فى جبيل وكفرجره ومشرفه

اما دير ايوب الذي نحن في صدده فقد اثبتت البعثة التسكوسلوفاكية انه كنيسة أنشئت في عهد بني غسان اقيمت على انقاض هيكل يوناني قديم وان هذا الهيكل اقيم على انقاض معبد اقدم منه يرتقي الى عهد العموريين اصحاب البلاد الاصليين. ويستدل من ابحاث البعثة على ان رعمسيس نصب مسلة في هذا المعبد وقد تمكن الاستاذ هروزني من قراءة الكتابة المنقوشة عليها وعرف انها تشير الى تقدمة من فرعون الى اله العموريين « ارخان دي سبتانتريون » وفي ذلك ما يدل على ان رعمسيس الثاني اتخذ العموريين انصاراً له وقبل ان يسير الى الشمال لمحاربة الحثيين عرج على باشان واقام هذا الاثر التذكاري في معبد اله العموريين املاً منه ان ينصره على اعدائه .

وقد وجدت البعثة في اسفل هذا الهيكل اساس بناء ضخم مؤلف من احجار سوداء كبيرة مرصوفة رصفاً محكماً يستدل من وضعها ان البناء بقية من قصر امراء

العموريين الذين عاصروا رعمسيس الثاني . وهو مبلط بالقرميد على مثال الابنية البابلية وهذا ما يدل على ان بلاد باشان لم تقتصر في علاقاتها الخارجية على الاتصال بمصر بل انها كانت على صلة ببلاد الكلدان ايضاً وقد اقتبست عنها شيئاً من طرق البناء

وقد افضى البحث والتنقيب ببعثة الاستاذ هروزني الى العثور تحت بلاط القصر على اهراء فيها سلال من الحبوب تقادم العهد عليها فاصبحت سوداء اللون ويغلب على الظن انها ترتقي الى نحو خمسة وثلاثين قرناً وربما كانت حين العثور بها لا تزال محتفظة بمادتها الحيوية ، وهو ما لا يستغرب بعد ان اثبت الاخصائيون ان الحبوب التي وجدت في بعض مدافن الفراعنة بمصر لم تفقد مادتها الحيوية مع انها ترتقي الى نحو اربعين قرناً .

ولم تقف البعثة عند هذا الحد بل مضت في عملها تحت القصر الى ان وجدت ثلاثة نواويس من الحجر في احدها طابع من الجص عليه رسم سمكة

وقد استخرجت من بين الانقاض التي نقبت فيها بعض قطع اثرية منحوتة منها قطعة تمثل فارساً على رأسه خوذة ناتئة وقطعة اخرى تمثل اسداً هائجاً وهي من آثار الحثيين . وهذا ما يؤخذ منه ان الحثيين تسلطوا على بلاد باشان واخضعوا العموريين لسلطانهم يوم كانت هذه البلاد داخلة في منطقة نفوذ بابل .

ويستدل من الكتابات الاثرية التي وجدت هناك على ان العموريين استعملوا الاقلام التي استعملها الفينيقيون والعبرانيون والموابيون لانهم ينتسبون جميعاً الى اصل واحد . وقد وجدوا حجراً عليه كتابة تدل على ان العموريين اتخذوا منذ القرن الثامن ق . م القلم الكنعاني .

وفي جملة التحف الاثرية التي استخرجتها البعثة التشكوسلوفاكية من حفريات الشيخ سعد عدة تماثيل كاملة ونصفية منها ما يرتقي الى عصر اليونان ومنها ما يعود الى العصر الروماني . وهذا علاوة على ما هنالك من الكتابات اليونانية واللاتينية

التي تدل على ما كانت عليه بلاد باشان سهلها وجبلها من الحضارة والعمران في عصر اليونان والرومان وهو ما يستدل عليه ايضاً من الابنية الاثرية العظيمة التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان في كل بقعة منها تحدث الغادي والرائح بمجدها التليد وحضارتها العريقة

حوران في العصور الحديثة

اما بعد الاسلام فقد جرى على بلاد حوران ما جرى على سواها من اعمال الشام من حوادث الدهر ومفاجآت الزمان ومرّ على هذه ما مرّ على تلك من ايام سعيدة او مشئومة . ويستدل من الكتابات العربية القديمة التي وجدت على اطلالها ان آخر عهدها بالرقي والحضارة كان في القرن الثالث عشر حين استعادت بعض ما كان لها قديماً من الشهرة . ثم اندرست معالم نهضتها وباتت نسياً منسياً الى القرن التاسع عشر حيث رسخت قدم الدروز فيها واشتد ساعدهم في جبل حوران وتملكوه ورفعوا لواء سلطانهم على ربوعه . وظهر منهم غير بيت من البيوت الكبيرة نظير بني الاطرش وبني الحلبي وبني عامر وآل ناصر وآل عزام او العوامزة وهم من اشد طوائف الدروز بأساً ودروز عنز وزيسبين . فتقاسموا البلاد وجعلوها مناطق نفوذ لكل بيت او طائفة منهم منطقة قائمة بذاتها . واصبحوا هم اصحاب الامر والنهي فيها وليس للدولة العثمانية في هاتيك الاصقاع الا سلطة اسمية ربما كانت في بعض الاحوال اقل شأناً واخف وطأة من السلطة التي كانت لها في جبل لبنان الذي كان يومئذ متمتعاً بالاستقلال الاداري تحت سيادتها وبضمانة الدول الاوربية السبع الموقعة لنظامه الاساسي . واهم ما يجدر بالذكر من مناطق النفوذ في هاتيك البلاد ما هو واقع منها في دائرة جبل الدروز . وتسمى هناك مقارن او مفارق . فالنفوذ في المقرن الشمالي وهو ما يلي اللجاه لجهة الجنوب للعوامزة وفي اقصى الشمال للعناويش . وفي المقرن الجنوبي او القبلي وبعض المقرن الشرقي وهو واقع في ذروة الجبل لآل الاطرش ومنهم زعيم الجبل الاكبر وكان الى سنة ١٩٢٣ سليم باشا الاطرش وقد

جعل اميراً على الجبل الى ان ادركته منيته فتنازع كبراء آل الاطرش الزعامة ردحاً من الزمان حتى نشبت نار الثورة وآلت الزعامة الى سلطان باشا الاطرش حتى اليوم. والنفوذ في المفرق الغربي لآل هنيدات وقصبته المجدل . وهناك بيوت اخرى تتفاوت مراتب نفوذها في الجبل بتفاوت سطوة كل منها وثروته وعدد رجاله كآل فخر ويقال لهم الفخور وآل عزام المشار اليهم آنفاً وآل سلام وآل درويش وغيرهم

وللدروز في جبل حوران وقائع مشهورة تؤيد ما هو مأثور عنهم من البسالة والاقدام . واخص ما يذكر لهم من ذلك ما وقع لهم مع ابرهيم باشا الفاتح المصري الشهير . ذلك انه لما اجتاح بطل مصر الديار الشامية في سنة ١٨٣١ واكتسح الاناضول شعر بالحاجة الى الجند لسد الفراغ الذي وقع في صفوف جيشه على اثر المعارك الهائلة التي خاض غمارها ولا سيما معركة حلب (يوليو ١٨٣٢) التي بيعت فيها الارواح بيع السماح ومعركة بوغاز كيليكيا ومعركة قونية (دسمبر ١٨٣٢) وغيرها من المعارك التي قاتل فيها الجيش العثماني وانتصر عليه وطارده حتى اقصى حدود الاناضول ومزقه تمزيقاً وكاد يقضي على استقلال الدولة العثمانية ويوردها موارد الهلكة والدمار لولا توسط الدول الاوربية واتفاقهن على اخراجه من بلادها عنوة (١٨٤٠) وكان ما كان مما هو مسطور في تاريخ مصر الحديث . فاراد تجنيد دروز حوران ووادي التيم (١٨٣٥) فابوا الاذعان وانحاز اليهم العرب وقاتلوا والي دمشق وكسروه وشد ازرهم شبلي العريان البطل الشهير فاستفحل امرهم وانزلوا بالجيش المصري خسارة فادحة فاضطر ابرهيم باشا الى مقاتلتهم بنفسه ودارت رحى الحرب في اللجاه فلم يطق الوقوف امامهم لوعورة المسالك في هاتيك البقاع ومناعة المعاقل الطبيعية التي اعتصموا بها وهلك كثيرون من جنده مع عدد من نخبة ضباطه وقادة جيشه بينهم محمد باشا الفريق . ثم اعاد الكرة عليهم وحاول دخول اللجاه ثانية ففشل وعهد الى الامير خليل بن الامير بشير شهاب الكبير امير لبنان — وهو يومئذ صديقه الحميم وحليفه الامين — في قيادة الجيش المنوط به امر اخضاعهم فوفق

هذا الى كسر شوكتهم واكراههم على القاء السلاح بعد معارك حامية ليس هـذا مقام التبسط فيها . واعجب الفاتح المصري ببسالة عميدهم شبلي العريان فعهد اليه في قيادة كتيبة من الفرسان

بعد مذابح سنة ١٨٦٠ — وفي سنة ١٨٥٠ زحف القبرسلي باشا على بلاد الدروز يريد فتحها فعجز دونها وارتد عنها خاسراً يجر اذيال الخيبة والفشل . ومن ذلك الحين استفحل امر الدروز وازدادوا جرأة وقوة .

ولما وقعت المذابح في لبنان سنة ١٨٦٠ هاجر الى حوران كثيرون من دروزه فراراً من العقاب الذي كان ينتظر ان يحل بهم هناك فاشتد ساعد الحوارنة بهم وازدادوا قوة وشجاعة فكثرت مطامعهم وتغلب عليهم روح الاثرة وتطالت اعناقهم الى ما كان حتى ذلك الحين عزيز المنال عليهم فانطلقوا الى السطو وشن الغارة على مواطنيهم من البدو والمسيحيين وانسوا من ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن تأديبهم وفساد ضمائر موظفيها ما زادهم طمعاً في جيرانهم واستصغاراً لشأنهم . وما برح هذا دأبهم حتى استفحل امرهم وتفاقمت الحالة من جراء اعمالهم واشتداد وطأتهم على مواطنيهم . كل ذلك والدولة لاهية عنهم متشاغلة عن شئونهم بما كانت منصرفة اليه وقتئذ من معالجة المشكلات الداخلية والخارجية التي نشأت عن انقلاب سنة ١٩٠٨ فكان سكوتها هـذا مدعاة لتماديهم وباعثاً لهم على تجاهل امرها واستضعافها والاستهزاء بسلطتها .

حملة الفاروقي — وآخر ما اقدموا عليه من المنكرات الدالة على مبلغ الغرور الذي استأسر نفوسهم وارخى حجاباً كثيفاً على بصائرهم كان في سنة ١٩١٠ حيث غزوا قريتي المعرّبة وغصم وقتلوا بعظم السكان من مسلمين ومسيحيين ونهبوا ما فيهما من غلال ومتاع فعظم الامر على الدولة واشفقت إن هي عمدت الى معالجة الداء بالمسكنات المأثورة عنها ان يتفاقم شره وتندلع السنة الفتنة الى انحاء اخرى من

البلاد فتلتهم نارها الاخضر واليابس وقد تعجز عن قمعها لما هي منصرفة الى معالجته من الشئون الهامة الكبرى التي كانت تستلزم وقوف جيشها الوطني على قدم الاستعداد دفعاً للطوارىء والمفاجآت عن حاضرة السلطنة فتستهدف لاضاعة هيبتها وفقدان سلطانها في هاتيك البلاد . فرأت من ثم ان تبادر الى خنق الفتنة في مهدها واجتثاث الشر من اصوله قبل ان يستفحل امره وتتسع دائرته وجردت على جبل الدروز حملة عسكرية كبرى مؤلفة من اربعين الف مقاتل تحت قيادة سامي باشا الفاروقي الدمشقي الاصلي وكان رحمه الله من كبار قادة الجيش العثماني الذين يشار اليهم بالبنان ويعتمد عليهم في الخطوب والملمات . فوصل الفاروقي الى حوران في اوائل صيف سنة ١٩١٠ وجعل معسكره في درعا . وما لبث ان اجتمع لديه العدد الكافي من الجند والمهمات الحربية اللازمة حتى زحف على جبل الدروز من ثلاث جهات وشق طريقاً جديداً على طول ٣٥ كيلو مترا بين اذرع والسويداء وهو الطريق الذي سلكه في دخوله الى قلب الجبل وكشف مكامنه والاستيلاء على معاقل العصاة واستحكاماتهم . وقد تم له ما اراد من تشتيت شمل الدروز والتنكيل بالثوار ودك القوى التي جهرت بالعصيان بعد ان جرت له معهم وقائع دموية كثيرة قتل فيها من الدروز زهاء اربعة آلاف نفس ومن الجند عدد كبير لا يستطاع حصره . وتاريخ هذه الحرب حافل بالحوادث والمفاجآت وهو تاريخ طويل لا يسعنا الاحاطة به وبسط وقائعه في هذه العجالة . وحسبنا ان نقتصر على تلخيصه بكلمة موجزة وهي ان الدروز استبسلوا في هذه الحرب واستماتوا في الدفاع عن جبلهم المنيع وابدوا من ضروب الدهاء والشجاعة ما بات مضرباً للامثال . وكان الفاروقي نفسه في جملة الذين اعجبوا بفعالهم وبما ابدوا من سعة الحيلة والبسالة في ما خاضوا من المعارك دفاعاً من معاقلهم وقراهم . ولولا الجهود العظيمة التي بذلها في هذه الحرب والحزم الذي ادار به رحاها والفطنة التي اتقى بها المكائد التي نصبت له فيها والدهاء الذي

عالج به مفاجآتها والمشكلات التي عرضت له في خلالها — لعجز بلا شك عن الخروج منها ظافراً منصوراً ولعاد من حيث اتى يجر ذيول الخيبة والفشل .

وما كاد الفاروقي يفرغ من قمع الثورة حتى شرع في تجنيد الدروز . وقد جند منهم حتى شهر اذار (مارس) سنة ١٩١١ نحو اربعة آلاف نفس كما جاء في التقرير الذي قدمه الى وزارة الحربية . وجمع من الجبل بعد ان وضعت الحرب اوزارها زهاء ١٥ الف بندقية بين موزر ومارتين واحصى السكان فبلغ عددهم في أقضية السويداء وعاهرة ودرعا ٥١٥٧٧ نفساً . ووضع لائحة بالاصلاح الذي رأى ان يدخله على الجبل ورفعها الى المصادر الرسمية في الاستانة فصودق عليها ولكن الله لم يفسح في اجله ليشهد ثمرة عمله وكانت هذه الحرب آخر عهده في الجهاد من اجل وطنه ودولته فوافاه القدر المحتوم في تلك السنة نفسها وهو في ارض الوطن

اما القرى التي اشتركت في هذه الحرب او كان لها شأن فيها او صلة بموقدي نارها ولحقها من الخسائر ما لم يلحق سواها من القرى التي ظلت في معزل عنها فاولها قرى المقرن الجنوبي فان الضرر الذي أصيبت به هذه المقاطعة كان بليغاً . والشهباء وهي قرية كبيرة منيعة اتخذها الدروز معقلا لهم وجمعوا فيها المؤن والذخائر فهاجمهم الجيش وفتحها فتهدم جانب كبير من منازلها . وقريتا نجران وكفران وقد دمرتهما القنابل ودكت منازلها من اساسها . وريمه وخبرات وصلخد وعرمان فان سكان هذه القرى جاهروا بالعصيان فزحف الجيش عليها ودكها بعد ان نكل بعدد كبير منهم .

ومن القرى التي شهدت الحرب وخاضت غمارها واكتوت بنارها بصرى الحريري وقنوات ومفعله وملح وام الرمان والمجيمر وسهوة البلاطة وكناكر والكفر وبصرى انكي شام والخربه ومردك والعفينه وخبب وعتيل وام الزيتون والمجدل والدر وسميع وداما وزخسيمه واذرع ودرعا ومتان والهويه والقريه وبكا وحوط

ورساس وعرة والعانات وسهوة الخضر وميامـاس الخ .

وبادرت عدة قرى الى تقديم الطاعة فلم يصبها ما اصاب غيرها من القرى التي ثبتت على المقاومة من مضار الحرب واوزارها .

وقد جرت معارك كثيرة اهمها المعركة الكبرى التي وقعت في وادي اللوى وقتل فيها عدد كبير من الدروز . ومعركة ابي طميس . ومعركة تل الحمراء الواقع جنوبي ثكنة عاهرة ومعركة السويداء .

اما زعماء الثورة فقد اعتقل منهم نحو مئتي زعيم بينهم جماعة من آل الاطرش وقد جيء بهم الى دمشق فحوكموا امام المجلس العرفي وحكم على كثيرين منهم بالاعدام شنقاً ومنهم يحيى عامر وهو شاب شجاع قاد الدروز في واقعتي مفعله وقنوات ثم هالته كثرة الجند فلاذ بالفرار ثم قبض عليه . وذوقان الاطرش وهو الذي هاجم بجماعته وقومه بصرى اسكي شام . ومزيد عامر وهو من الرجال المعدودين . وابو طرودي المغوّش شيخ خلخله وقد هاجم الجيش غير مرة وهو بطل مغوار طويل القامة اسدي المنظر . وكان في ذلك الوقت في نحو الخمسين من عمره . ومحمد العلقاني شيخ قرية النمره . وهزاع الحلبي شيخ قرية لاهته . وقد نفذ فيهم حكم الموت في شهر اذار (مارس) سنة ١٩١١ . والآخرون شنقوا في ما يليه من شهور تلك السنة ذاتها . فجاءت معاقبتهم وهم وجوه قومهم ومن كبار بلادهم من اكبر البواعث على اخلاد الجبل الى السكون وتأهبه لقبول الاصلاح واعتبار القبائل الضاربة حوله بمثله ونسجها على منواله في الاذعان لحكم الدولة والامتثال لاوامر الحكومة . ولم تقتصر الدولة على هذا القدر من العقاب فنفت كثيرين من زعماء البلاد وقد عرفنا منهم في مصر يحيى بك الاطرش من كبار آل الاطرش المعروفين جاءها باجازة مخصوصة من الباب العالي بعد توسط الانجليز في امره . ثم عاد الى حوران وتوفاه الله منذ بضع سنوات وعاد المنفيون الآخرون واستتب الامن في هاتيك الاصقاع وانصرف القوم الى اعمالهم

جغرافية حوران

قبل ان نأتي على ذكر الحوادث التي وقعت بعد الحرب العظمى سواء في حوران وجبل الدروز اوفي ما يليهما شمالاً من البقاع السورية ونفيض في وصف ما نشب فيها وفي الاراضي اللبنانية من الفتن والحروب التي لها صلة وثيقة بها وتعد هذه الحوادث حلقة من حلقاتها وجزءا من المسألة السورية الكبرى التي جعلنا الكلام عن البقاع الحورانية تمهيداً لمعالجة موضوعها بما يسمح به المقام من الاسهاب — رأينا وقد تكلمنا عن تاريخها ان نمهد للموضوع الذي نحن في صدده بلمحة عن جغرافيتها ومختلف شئونها السياسية والاقتصادية بحيث يكون القارئ على بينة مما يستعرضه ويقف في هذه النبذة عليه من الحوادث والامور التي اجملنا منها مالاتدعو الضرورة الى الافاضة فيه واسهبنا في ما لا غنى عن الاسهاب فيه منها متوخين بسط الحقائق المجردة التي هي ضالتنا ومحاولين استخراج العبرة التي يجب ان تكون غاية كل سوري ولبناني ينشد الخير لوطنه ويريد لمواطنيه ما يريده لنفسه من رغد العيش وهناء الحياة .

موقعها

هي بلاد فسيحة الارجاء مترامية الاطراف واقعة جنوبي دمشق قاعدة سورية وعلى مسافة مئة كيلو متر منها وبينهما خط حديدي هو جزء من السكة الحديدية الفرنسوية التي أنشئت في سنة ١٨٩٤ بين بيروت وحلب في الشمال وبينها وبين دمشق وحوران في الجنوب . وهو يبتدىء من محطة الميدان في دمشق وينتهي في محطة المزيريب ماراً بمحطة داريا، وهي بلدة عامرة ذكرت غير مرة في تاريخ الحروب الصليبية ، وسحنايا ثم يجتاز الجبل الاسود الذي يفصل بين سهول دمشق وحوران ويمتد في وادي العجم مجتازاً نهر الاعوج الى بقاع واسعة حتى يصل الى محطة الكسوة فمحطة خان دنون حيث تبتدىء المنطقة البركانية . ثم يجتاز الكيّادة الى

محطة زراقية حيث يشاهد على يمينه بناء متهدم قائم على رابية يعرف بقصر فرعون . وعلى شماله بناء آخر يعرف بمزار اليشع. ثم يجتاز الخط محطة غباغب ثم محطة الضمين حيث يبتدىء سهل النقرة او حوران الاصلية . ثم يجتاز محطة الخنسية فمحطة الكتيبه ثم الشيخ مسكين ثم محطة داعر ثم محطة طفس ثم محطة المزيريب عند الكيلومتر ١٠١ وهي محطة حوران الرئيسية

حدودها

وحوران محدودة من الشمال بوادي العجم الواقع على عشرين ميلاً من دمشق ومن الجنوب الغربي ببلاد الجاذور ومن الشرق الجنوبي ببادية الشام ومن الجنوب والجنوب الغربي بلواء الكرك والبلقاء ومن الغرب بسكة حديد الحجاز ونهر الاردن من جهة الجولان في الشمال وبوادي الشلاله من جهة عجلون في الجنوب .

اما عدد سكان حوران فلا يقل عن نحو ٢٠٠ الف نفس بين مسلمين سنيين ومسيحيين وبدو ودروز وهو تقدير اجمالي يتعذر تحقيقه الآن

اقسامها القديمة والطبيعية :

قسمت حوران في عهد الرومانيين الى خمسة اقسام : مقاطعة الطوره — وغولانيتيديا — وباشانا — وتراشونيتيديا — واورانيتيديا

وهي تقسم من حيث تكوينها وموقعها الطبيعي الى ثلاثة اقسام : اللجاه — والنقره — وجبل الدروز .

اللجاه :

اللجاه منطقة بركانية واقعة في الشمال الشرقي من جبل الدروز . يحده شرقاً قريتا خلخله والصورة الكبرى الدرزيتان وغرباً بصرى الحرير وشمالاً محطة المسمية وجنوباً قريتا داما وجرين وهما قريتان درزيتان . وهو قائم في وسط السهل وراء بحيرات الصحراء بشكل نتوء بيضوي يرتفع عن البقاع المحيطة به نحو سبعة امتار. ويتألف اللجاه من آكام متراصة هي ركام حمم متصدعة وصخور بركانية متشعبة بينها معابر ومسالك خفية وكهوف عميقة يلجأ اليها العصاة والاشقياء ويأوي اليها

اللصوص . وقد الف الدروز الاعتصام في هذا المعقل الحصين كما تحرج موقفهم في جبلهم وسدت في وجههم منافذ النجاة من عدوهم وقد هزموا فيه الجيش المصري على نحو ما ذكرنا آنفاً وكسروا فيه الجيش العثماني غير مرة . وفي وسط هذه البقعة مكان يقال له الصفا فيه قصر قديم متهدم يعرف بالقصر الابيض . واطرافها وعرة يتعذر السير فيها لخشونة الارض . وطرقاتها منحوتة في الصخر وهي من عهد الرومان. وفي الجنوب الشرقي منه بقعة يقال لها الحرّاء واقعة وراء جبل الدروز شرقاً وكانت مضارب آل غسان قبل الاسلام وهي برية مقفرة مخيفة موحشة وعرة المسالك فيها شقوق وكهوف كثيرة متكوّنة من حمم البراكين . واللون الغالب على صخورها وتربتها اللون الاخضر او الاحمر الضاربان الى السواد . وارضها خصبة التربة وافرة الكلأ . وقد ورد ذكرها في نبوءة ارميا حيث تهدد مخالفي الناموس بنفيهم اليها . واهم قرى اللجاه جدل وعاصم وصور والزباير ومسيكه وعين حاضر وقراطه . وسكانه نحو الف نفس وتبلغ مساحته ٣٥ ميلاً مربعا وهو من البلاد التي كانت داخلة في ضمن حدود مملكة يطور (اي الصخر) القديمة التي اسسها على رأي بعضهم يطور بن اسمعيل بن ابرهيم . وورد ذكره في التوراة باسم مملكة ارجوب او ارغوب وهي المملكة التي اطلق اليونان على ارضها الوعرة اسم «تراخونيتس» اي مجمع الحجارة

واليهود كانوا يطلقون احيانا اسم باشان على الخمسة الاقاليم الشمالية الواقعة في ما وراء الاردن وفي جملتها اللجاه اعني بها يطور (الجادور) وجولانيتس (الجولان) وتراخونيتس (ارجوب او اللجاه) وحوران والبثنية (باشان) كما يستفاد من تثنية الاشتراع وحزقيال ونحميا . غير ان هذا الاسم لا ينطبق في مدلوله على اراضي اللجاه لان معناه الارض المطمئنة اللينة والرياض اللينة واراضي اللجاه قاسية شائكة لا نبات فيها غير انه يقارب هذا الاسم في العربية الباشن اي الرياضي والبشنة وهي الارض السهلة والزيدة والبشنية اسم لجهة في حوران تنطبق هذه التسمية عليها كل الانطباق . الا انه لما اطلق اليهود اسم باشان على اللجاه كان داخلا في ضمن حدودها

لان باشان اسم مملكة كبرى اسسها الآراميون ثم استولى عليها الاموريون ووسعو نطاقها حتى امتدت اطرافها الى قرب جبل حرمون وكانت متاخمة لنهر يلبق (الزرقا) وجبل جلعاد من الغرب ولصلخد والبادية من الشرق ولدمشق من الجنوب . واللجاه واقع جنوبي هذه المدينة فيكون داخلا في ضمن حدود باشان .

وقد حازت مملكة باشان شهرة عظيمة في غابر الازمنة لانها كانت ذات سهول خصيبة ووهاد تغشاها الغابات الغضّة ومروج مكسوة بانواع الخضرة كثيرة الكلأ وافرة المراعي . وكانت تعدّ اخصب بقعة في بلاد ارام كثرت فيها المدن والقرى واصبحت مرجعاً للاعمال الاجتماعية والمدنية بدليل ما يرى هناك الى اليوم من آثار الابنية المختلفة التي يرتقي عهدها الى اعصر عريقة في القدم وهي من اغرب ما يلفت النظر في هذه البلاد السحيقة .

وهذه الابنية غليظة الهندسة ولكن عليها مسحة من الجمال فان جدران البيوت مصنوعة من قطع كبيرة من البازلت وهي احجار بركانية غاية في الصلابة ومرصوفة رصفاً محكماً . واما الابواب واقفال النوافذ فضخمة جداً تدور على قطب مصنوع في القطعة الصخرية وترتكز من اعلاها ومن اسفلها على ثغرتين محفورتين في الجدار واكثر ابواب الحصون والمساكن الكبيرة مزينة بالنقوش والكتابات القديمة . والسقوف مستوية ومصنوعة من صفايح مستطيلة من حجر البازلت ترتكز على اعمدة ضخمة متوجة من اعلاها بالنقوش الجميلة

وقد وقت هذه المساكن عاديات الزمان قروناً طوالاً حتى سامت الى اليوم واتخذها الفلاحون مساكن لهم . والسلالم لاصقة بالجدار الخارجي وهي من الحجارة الضخمة . وليس للابواب والنوافذ في الطبقة العليا اقفال . وفي الغرف خزائن وشمعدانات ومقاعد مصنوعة كلها من الحجر . وفي الطبقة السفلى آبار منحوتة في الصخر واحواض مسقوفة واحواض تملأ ماء في الربيع فيستقي السكان منها على مدار السنة. والقرى الكبيرة هناك محاطة بانسوار ضخمة عليها كثير من الابراج المستديرة . وهذه

الآثار ترتقي الى اقدم اعصر التاريخ. ويصف الكتاب المقدس هذه الارض بارض الجبابرة .

وسكان اللجاه من العربان ويقسمون الى قبائل واخصهم عرب الصلوت ومن بطونها : العودان وعرب الرماح وعرب المدالجة وعرب الشرعه وعرب الضيوب وعرب الزهير وعرب الفواعرة وشيخهم محمود الفاعور . ولكل قبيلة شيخ يرجع في الشؤون العمومية الى الحاكم الاكبر المعروف بشيخ المشايخ . وكان شيخ مشايخهم الى عهد حملة الفاروقي سعد الدين ابو سليمان الغصين . ولهم اليوم شيخان هما الشيخ طلال ابو سليمان والشيخ احمد الغصين . والشيخ طلال كان مواليًا للفرنسويين فقاتله الدروز في اوائل سنة ١٩٢٦ بقيادة صياح بك حمود الاطرش وغلب على امره ففر الى دمشق ثم عاد الى حوران واكره على مسالمتهم بعد ان استولوا على اللجاه .

النقرة — هي حوران الاصلية وكانت تعرف في عهد اليونان « باورانيتس » وهي عبارة عن سهل واسع الاطراف خصيب التربة يفصله في الشمال عن سهل دمشق سلسلة جبال قليلة الارتفاع تعرف بالجبل الاسود . اشتهر منذ القدم بجودة تربته ووفرة محصولاته من الحبوب التي تنبت فيه وتصدر منه الى سائر البلاد السورية ولا سيما القمح الحوراني المشهور الذي يمتاز بنقاوته ولمعانه فانه كان يصدر منه الى عكاء وحيفا كل اسبوع مقادير كبيرة تنقل اليها على بضعة الآف جمل وبعد ان تمت السكة الحجازية صار ينقل بها . ويلي القمح في الاهمية الشعير فالعدس . واهالي حوران يقصرون جل اهتمامهم على محصولات اراضيهم فاذا ما امحل الموسم لقلة الامطار او لآفة اخرى كما لو سطا الجراد على المزروعات نزل بالبلاد ضيق شديد لانه ليس لديها موارد اخرى للرزق تعول عليها في سد حاجاتها .

والفلاح الحوراني لا يسمد ارضه لانه يستعمل السماد وقوداً لقلة الحطب هناك . والغابات التي اشتهرت بها مملكة باشان قديمًا انقرضت من البلاد لكثرة ما كان يحتطب السكان منها ولقلة عنايتهم بانماء الاشجار ويستعاض من الاسمدة باراحة

الارض كل ثلاثة او اربعة اعوام بان تستبدل انواع المزروعات فيها بانواع اخرى كما هو الحال في لبنان واكثر البقاع السورية التي يقل فيها السماد . وفي السهول لا تجد الا اشجار الفاكهة في جوار القرى والمزارع ولكنك تجد هناك آثار الغابات القديمة بارزة من جوف الارض .

وكانت النقرة في ما سلف من الدهر عامرة حافلة بالسكان بدليل ما يشاهد فيها من آثار العمران من مساكن وهياكل وحصون . واكثر سكانها من المسلمين .

جبل الدروز — واقع شرقي حوران . يحده شمالا اللجاه وبعض الوعر وشرقاً الحراء او الرحبة وغرباً سهل النقرة وبعض اللجاه وجنوباً البادية . وهو مستطيل الشكل يمتد من الشمال الى الجنوب على مسافة ستين ميلا ومساحته ١٨٠٠ ميل مربع . وقد كان يطلق عليه في عهد العبرانيين اسم باشان . واليونان كانوا يسمونه باتانيا وكان يعرف ايضاً باسم اسلمانوس . اما اسم حوران فكان يطلق اولاً عليه دون سائر البقاع المحيطة به ثم توسع المتأخرون في اطلاق هذا الاسم على سائر بلاد باشان كما هي الحال اليوم . وسمي جبل الدروز بعد ان نزح اليه كثيرون من دروز لبنان ووادي التيم وصفد وضواحي دمشق وغلب عددهم على عدد المسيحيين سكانه الاصليين وتملكوه . ويغلب على الظن انهم جاءوه منذ نيف وقرنين من لبنان على اثر استفحال امر التنوخيين الذين بطشوا بامراء لبنان . واول من جاء منهم اليه فريق من بني حمدان وبني فخر اموه رعاة اغنام لاهله واعتصموا فيه ثم اصبح كل من ضاقت في وجهه ابواب الرزق والحياة في لبنان وغيره من البلاد المحيطة به ولا سيما في اثناء حروب القيسية واليمنية يلجأ الى جبل الدروز انتجاعا للرزق او هرباً من ظلم الحكام

سكانه : كان سكان هذا الجبل منذ قرون طويلة مسيحيين من العنصر الحوراني ثم سكنه المسلمون وما لبثوا ان استقروا فيه حتى غلب عددهم على عدد

المسيحيين. ثم رحل اليه الدروز في اوقات مختلفة فجاءه اولاً بنو حمدان وبنو فخر ثم لحق بهم جماعة من دروز صفد على اثر طرد زيدان جد ظاهر العمر لهم منذ نحو مئة وخمسين سنة. ثم امه فريق من دروز حاصبيا وراشيا واقليم البلان ولبنان وحلب وكان الاهلون يكرمون مثواهم ويستخدمونهم. ولما كثر عددهم واشتد ساعدهم تآزروا وعززوا جامعتهم القومية وما برحوا ينمون عدداً وثروة ويزيدون نفوذا وسطوة حتى استفحل امرهم واذلوا السكان الاصليين فهجر المسلمون الجبل واستوطنوا النقرة. وارتحل عدد كبير من المسيحيين الى دمشق ولبنان وحلب وسائر البلاد السورية ولم يبق منهم في الجبل الا بضع مئات ثم زاد عددهم حتى بلغ اليوم زهاء خمسة الآف نفس . ويقدر عدد سكانه الآن بنحو خمسين الف نسمة منهم اربعين الف درزي وخمسة الآف مسيحي منهم ثلاثة الاف روم ارثوذكس والفان روم كاثوليك وزهاء خمسة آلاف نفس من العربان والمسلمين . ويقيم الروم في الجنوب بين آل الاطرش والكاثوليك في الشمال بين العوامرة واما البدو فيسكنون في الشمال الغربي من الجبل كعربان السردية والمساعيد والنعيمات والفطامات والشرافات وغيرهم . والقسم الاكبر منهم يرعى ماشية الدروز من آل الاطرش وسواهم وهم يسكنون الجبل من قرون بعيدة فكان دأبهم رعاية المواشي ولذلك لم يحرزوا في وقت من الاوقات التي مرّت بهم هناك نفوذاً على مواطنيهم واما الفلاحون سكان حوران الاصليون فهم يقيمون في سفح الجبل وفي السهول .

طبيعة ارضه : ارض الجبل بركانية وحجارته سوداء ويتخلل مرتفعاته ووهاده سهول واسعة من اخصب بقاع سورية وربما كانت اخصب من غوطة دمشق نفسها . وفي بعض انحاء الجبل آثار لطرق قديمة على مثال الطرق التي تصادف في صرود لبنان وهي من آثار الرومانيين . ومسالكه الحالية ليست بمستوعرة

ابنيته : اكثر ابنية الجبل قائمة على انقاض خرائب قديمة ومعظم قراه واقعة على الآكام وليس فيه من الحصون الحديثة الا ما ندر فان قلاعه قديمة من ايام

الغساسنة او غيرهم من الفاتحين والمستعمرين . وقد عبثت بها عوادي الزمان فدمرتها غير ان منها ما يعدّ من انفس الآثار القديمة كقصر السويدة وهو من ابنية الغساسنة وقلعة صلخد وغيرها .

مياهه وهواؤه : مياه الجبل قليلة واكثرها ينبع في الشمال والجنوب ومنها نبع غزير على مسافة ساعة من عري في الجنوب كانت مياهه تجري قديمًا في اقنية تحت الارض الى بصرى حوران وهو النبع الذي نزل عليه بنو غسان يوم اتوا الشام بعد سيل العرم المشهور الذي اكره بعض قبائل اليمن على الرحيل عنها وارتياد بقاع الشام وغيرها انتجاعًا للرزق وطردوا عرب الضجاعمة منها وحلوا محلهم على نحو ما تقدم . وفي بعض قرى الجبل ينابيع عذبة المياه تروي الاراضي المحيطة بها اخصها نبع عرى ونبع العزية والكفر ورساس وام الشراشيح وعين الجملة ونبع عرمان وعين البارده ونمرة وعين عامر وكوم الرمان وجب النعام وقسطل وفبراطه وعين الزبائر وعين جنين الخ .

اما هواؤه فممتناه في الجودة ولذلك نرى سكانه سليمي الاجسام قلما يصابون بالامراض وبرده قارص ولكنه غير ضار ومتى اشتد البرد كسا الثلج قممه حلّة بيضاء تزيده هيبة وجمالا وفي الصيف لا ترتفع الحرارة هناك في ابّان اشتدادها الى اكثر من ٣٠ درجة بميزان سنتغراد لان الجبل موجه الى الغرب فيهب عليه في المساء الهواء الغربي فيرطب الجو ويلطف من حدة الحرارة

محصولاته : اهم محصولات الجبل القمح والشعير والذرة البيضاء والعدس والحمص والكرسنه الخ . واكثر معول الاهلين على القمح وهو ابيض لماع كالقمح الحوراني . ومتوسط محصول القمح هناك ٥٦ الف غرارة ومحصول الشعير ٤٢ الف غرارة ومحصول القطاني ٤٢ الف غرارة وكان دخل الفرد من سكان الجبل يقدر قبل الحرب بزهاء ثلاثة آلاف قرش وهو دخل لا يستهان به في مثل البلاد السورية

وقد زاد الآن اضعافاً مضاعفة لارتفاع اسعار الحبوب . واما الاراضي الزراعية في الجبل فلا تقل عن ١٤ الف فدان .

والفواكه فيه قليلة لا اهمية لها وليس فيه من الاشجار المثمرة سوى التين والعنب وقليل من الرمان والتفاح والمشمش . واكثر هذه الاشجار حديث العهد في الجبل يرجع الى الربع الاخير من القرن الماضي ومعظمها في السويداء والكفر وقنوات وعري وسليم وسهوة بلاطة وحبران والقريّة وحوط وصلخد وعرمان .

اما اللبن والسمن فمدار المعيشة عليهما وهما مشهوران باللذة والدسامة لكثرة ما هنالك من المراعي .

حيواناته :

من حيواناته الداجنة الماعز والغنم وهي كثيرة قد لا تخلو قرية منها والخيل ومنها عربية اصيلة والحمير والبقر والجمال وهي كثيرة فيه ولا سيما في السهول . ومن الحيوانات البريّة الضبع والغزال ويوجد بكثرة ويباع في دمشق باثمان بخسة والثعلب والارنب الخ واما الاسد والنمر فقد هجراه منذ قلت الغابات الغضة فيه واوشكت ان تنقرض .

تجارته :

تجارة الجبل ضيقة النطاق تكاد تنحصر مع دمشق . والدمشقيون يستوردون منه الحبوب على اختلاف انواعها والسمن والصوف والجلود ويصدرون اليه المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية من اعبية وشالات وغيرها والمصوغات والبترول والحلويات واصناف العطارة والفواكه والسكر والزيت وسروج الخيل والدواب والادوات الزراعية الخ . والحورانيون يتبعون طريقة المقايضة في المتاجرة مع اهل الشام فيقايضون على حاصلات اراضيهم بالبضائع التي يستوردونها منهم وقلما يدفعون نقوداً فهم شديدو الحرص على المال .

ولو كان الجبل مخلداً الى السكون في معزل عن الفتن التي تمزق احشاءه منذ اقدم الازمنة الى اليوم بسبب ما كان ولا يزال قائماً بين سكانه وعشائره من الخلاف

الذي يرجع معظمه الى تناظر الزعماء والمشايخ وتنازعهم السيادة والنفوذ لكان من اهم المراكز التجارية في بلاد الشام لانه محاط من كل جانب بقبائل من البدو يعدّون بعشرات الآلاف وهم لا يجدون مكانا اقرب اليهم من الجبل لابتياع ما يحتاجون اليه من الادوات والملابس والحبوب وسائر انواع الاطعمة اما والحالة على ما هي عليه بين البدو وسكان الجبل من الجفاء والتباعد والتخاذل فلا يركن بعضهم الى البعض الآخر ولا يمكن ان ينشأ بين الفريقين روح التآلف والتآزر قبل ان تزول اسباب الجفاء وتتفق كلمة الزعماء على انهاض البلاد وترقيتها

عادات سكانه :

لسكان هذا الجبل عادات وتقاليد مخصوصة منها ان المتبع في الاعراس عند الدروز ان العروس تنتخبها كبيرات نساء العائلة والمهر يتراوح بين مئة قرش وخمسة آلاف قرش . ومن المألوف عندهم ان الرجل يقدم الجهاز وهو عبارة عن بعض ملابس وقطع حلى منها قرص طربوش فضة يسمونه شكة ومحزم واساور واقراط للآذان . واما المسيحيون فان العروس عندهم يختارها العريس ثم يتفقون على المهر وهو من ثلاثة آلاف فما فوق والعريس يقدم جهاز العروس كما هي الحال عند الدروز ولا يتم الزواج الا اذا دفع الى شيخ القرية (الدرزي) الف قرش . والمهر يأخذه اهل الفتاة . والطرق المتبعة في الاحتفال المدني بالزواج تكاد تكون واحدة عند المسيحيين والدروز .

ولهم عادات في اكرام ضيوفهم وفي ولائمهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض تختلف عنها في سائر انحاء سورية . و بين البدو والدروز في الجبل ضغائن قديمة ومنازعات دائمة فلا يمرّ عام بغير ان تسطو قبيلة من القبائل النازلة هناك على قرية او عدة قرى فهي قبائل غزو تكاد معيشتها تكون موقوفة على السلب والنهب وشنّ الغارات . والفلاح الحوراني يمتاز على البدوي ببعض اشياء منها انه اكبر منه هيكلاً واشد عضلاً واحسن تركيباً . وفي ما خلا ذلك فان بينهما مشابهة تامة من حيث العادات والتقاليد والاخلاق وسائر الاطوار . وقد اقتبس الفلاح الحوراني من البدوي كثيراً من العادات الحميدة

منها كرم الضيافة فانك لا تكاد تمرّ بقرية تخلو من منزول . والمنزول عندهم اشبه شيء بفندق ينزل فيه الغرباء ضيوفاً على اهل القرية والسكان يتسابقون الى الاعتناء بامر المنزول فاذا وصل غريب اليها نزل فيه على الرحب والسعة و يفد اهل القرية عليه للترحيب بضيفهم واكرام مثواه. ومن المألوف عندهم ان لا يتناول احدهم القهوة قبله. والاوربيون الذين يفدون الى القرى ويقيمون في المنزول لا يغادرونه قبل ان ينفحوا القائمين بالخدمة فيه بشيء من النقود. ولذلك ترى المنوط بهم خدمة الضيوف يتسابقون الى اكرامهم والاحتفاء بهم .

التقسيم الاداري :

كانت حوران في عهد الاتراك متصرفية تابعة لولاية دمشق وكانت مقسومة الى خمسة اقضية : قضاء عجلون وجبل حوران والقنيطرة و بصرى الحرير ودرعا و بعد ان اخضعها سامي باشا الفاروقي في حملته عليها سنة ١٩١٠ واخمد نار الفتن فيها صرف عنايته الى اصلاحها وكان اول ما فكر في ادخاله عليها من ضروب الاصلاح ان قسمها الى متصرفيتين الاولى مركزها السويداء ويتبعها اربعة اقضية وهي صلخد وعاهرة و بصرى الحرير وقضاء جديد قاعدته بصرى اسكي شام . والمتصرفية الثانية مركزها درعا ويتبعها ثلاثة اقضية وهي قضاء الشيخ مسكين وعجلون والقنيطرة . بيد ان هذا التقسيم لم يوضع موضع التنفيذ وظل التقسيم القديم نافذاً الى ما بعد الحرب العظمى ثم ادخل عليه بعض التعديل في عهد الانتداب الفرنسوي. وهذا بيانه:

القضاء	عدد مراكزه	قاعدته	عدد قراه ومزارعه
مقر المتصرفية	٣	الشيخ مسكين	٥٢
عجلون	١	عجلون	١٢٠
جبل الدروز	٦	السويداء	٥٨
القنيطره	١	القنيطره	٩٢
بصرى الحرير	.	بصرى الحرير	٣٦
درعا	١	درعا	٣١
	١٢		٣٨٩

مركز المتصرفية :

كان مركز متصرفية حوران الى آخر عهد الاتراك في قرية النبي ايوب الواقعة على مسافة كيلو متر واحد جنوب قرية الشيخ سعد مركزها القديم ومعظم سكانها من الدروز وفيها ثكنة عسكرية متينة البنيان راسخة الاركان جميلة الهندسة تسع بضعة الآف من الجند وفي الشمال الغربي منها آثار بناء قديم يعرف بدير ايوب وقد اتينا على ذكره في ما تقدم .

نوى : ويتبع مركز المتصرفية قرية نوى التي ولد فيها النواوي احد أئمة المسلمين المشهورين وهي مبنية في مكان مدينة نيفا القديمة ومن انقاضها . وفيها كثير من الآثار النفيسة من هياكل وابراج واضرحة معظمها قائم الى اليوم وبينها ضريح متناه في الكبر وبرج يبلغ علوه ١٥ متراً .

شمسكين : هي من اهم قراه واقعة على طريق الحج وكانت قديماً عاصمة بلاد النقره السابقة الذكر .

الشيخ سعد : واقعة على مسافة ستة كيلو مترات من نوى وهي قرية حقيرة يقيم فيها قوم من العبيد اسكنهم هناك الشيخ سعد احد ابناء الامير عبد القادر . وفيها مكتب للتلغراف والبريد . وتشتمل على كثير من الآثار القديمة منها جامع صغير في الجنوب الغربي من الرابية القائمة عليها القرية داخله صخر يعرف بصخرة ايوب قيل انه سمي كذلك نسبة الى ايوب البار لان اصدقاءه كانوا يزورونه هناك . وهو قطعة واحدة من الحجارة البركانية يبلغ علوه مترين وفيه افريز بارز منقوش وكتابة هيروغليفية يستدل منها انه يرتقي الى عهد رمسيس الثاني (نحو سنة ١٣٠٠ قبل المسيح) ومن المحتمل ان يكون هناك المكان الذي كانت قائمة فيه كنيسة ايوب التي زارتها القديسة سلفيا في آخر القرن الرابع للمسيح . وفي اسفل الرابية مكان يقال له حمام ايوب وهو من الاماكن المقدسة عند اهل البلاد . والبدو والدروز يؤمنون بان الاستحمام بمياهه يشفي من الاسقام مهما كانت مستعصية . ويزعمون ان ايوب استحم فيه بعدان

برأ من البرص . وفي جواره تمثال اسد مصنوع من الحجر البركاني (البازلت) وهو من آثار الحثيين . وفي الجهة الغربية من هذه الحمامات مكان يعرف بمقام الشيخ سعد وهو ضريح مقدس عند أهل البلاد لان من تقاليدهم الموروثة انه ضريح أيوب البـار .

قضاء عجلون

اربد : أما الاقضية فاولها عجلون وقاعدته اربد وهي قرية كبيرة حديثة البناء عدد سكانها نحو ٣٥٠٠ نفس وفيها مكتب للبريد والتلغراف وهي على مسافة ٧ ساعات من وادي العرب ومبنية في مكان مدينة أربلاّ القديمة التي كانت قاعدة احدى مقاطعات بيره وفيها من الاثار القديمة المحفوظة الى اليوم ما يدل على سابق أهميتها وعمرانها . وفي الجهة الجنوبية منها بحيرة كبيرة وبعض صخور بركانية عليها كتابات أثرية .

حصن عجلون : وأهم القرى الملحقة بهذا القضاء حصن عجلون وهي قرية كبيرة واقعة على نحو ساعتين من أربد في سفح جبل عجلون على ضفة الاردن الشرقية وفيها زهاء ٢٥٠٠ نفس نصفهم مسيحيون . وفيها ملجأ للحجاج ومدرسة وكنيسة للاتين وملجأ ومدرسة للروم . وفيها آثار قديمة وبقايا السور القديم وفي شمالها حصن كبير يعرف بتلّ الحصن

أبيل : قرية قديمة كانت تعرف سابقاً باسم البيله .

جرش : من أكبر قرى هذا القضاء . عدد سكانها زهاء ٢٠٠٠ نفس وموقعها في وادي قيروان الذي يعرف ايضاً بوادي جرش ووادي الدير على الضفة اليسرى من نهر يجري هناك بين الادغال وشجر الغار . وهي مبنية على انقاض مدينة قديمة كانت تعرف بجراشا لا تزال آثارها قائمة الى اليوم وتشغل مساحة كبيرة من الارض في الجانب الايمن من النهر وبينها ابنية ضخمة ومدافن وحصون كثيرة لم تقوَ القرون

الطوال التي مرّت عليها على العبث بها . ومنها آثار السور القديم منشورة على الجبل على مسافة ٣٤٠٠ متر وقوس نصر شديد الشبه بقوس في رومية اقيم تذكاراً لترايانس ويغلب على الظن انه من ابنية القرن الثاني للميلاد . وهناك حوض انشيء لسباق الزوارق طوله ١٥٥ متراً وعرضه ٥٠ متراً وفي جوانبه مقاعد حجرية للمتفرجين . وعلى مقربة من الهيكل مسرح كبير فيه ٣٢ صفاً من المقاعد الحجرية محفوظة تمام الحفظ وتبلغ مساحته نحو ٩٠ متراً وفيه نقوش بالغة منتهى الدقة والاتقان ولكنه مستعمل الآن كمحجر ينتزعون منه الحجارة للبناء . وهناك عدة حمامات وبقايا كنيسة قديمة الا ان السكان اخذوا شيئاً كثيراً من حجارة هذه الآثار لبناء مساكنهم بحيث لم يبق من القطع المنقوشة واحجار البازلت الجميلة التي كانت في تلك الابنية الفخمة ما يجدر بالذكر . وفي الشمال الشرقي من المسرح ساحة مبلطة امامها صف من القناطر ممتد على طول المدينة القديمة مسافة ٨٠٠ متر طولا و١٣ متراً عرضاً . وسعة كل قنطرة من ٣ الى ٤ امتار ونصف متر . وكان عدد الاعمدة المرتكزة عليها هذه القناطر ٥٢٠ عموداً فلم يبق منها اليوم الا ٧١ عموداً يتراوح علو الواحد منها بين ٦ و ٩ امتار مع قاعدته . ويستدل من اشكال هذه القناطر ومما فيها من اختلاف في الهندسة انها بنيت في القرون الاخيرة من انقاض ترتقي الى عهد قديم . والى جانبي الشارع الكبير آثار قناطر اخرى لم يبق منها سوى القواعد . وعلى النهر جسر ضخم مؤلف من خمس قناطر حجرية يبلغ عرض اوسعها ١٢ متراً

وهناك هيكل فخم لاتزال النقوش الظاهرة فيه تدل على ما كان عليه من الاتقان وعلى مقربة منه هيكل آخر مكرس للشمس تشغل مساحته ١٦٠ متراً طولاً و١٠٤ امتار عرضاً وهو محاط بقناطر مؤلفة من ٢٦٠ عموداً . أما الهيكل ذاته فيبلغ ٢٧ متراً طولا و ٢٠ متراً عرضاً والى جوانبه من الداخل اركان مؤلفة من اعمدة ضخمة مجموعة علو كل منها ١٣ متراً ومنقوشة نقشاً بديعاً . وهو متهدم ولكن سوره

لا يزال قائماً الى اليوم . والذي يغلب على الظن ان بناءه يرتقي الى النصف الاول من القرن الثاني للمسيح وهو اقدم من القناطر القائمة في وسط المدينة

وفي جنوب هذا الهيكل آثار كاتدرائية كبيرة وفي الجنوب الغربي كنيسة اصغر منها وليس لهما اهمية تاريخية كبيرة . وهناك كنيسة ثالثة واقعة في الجهة الشرقية منها كانت لاصقة بهيكل الشمس لم يبق منها سوى ٧ اعمدة من القناطر الجنوبية . وفي الجهة الشمالية ملعب يستدل من شكله انه انشيء لمصارعة الحيوانات والمبارزين على مثال ما يشاهد في رومية واسبانيا ولا يزال القسم الاكبر منه محفوظاً الى اليوم .

واما الحمامات فهي مؤلفة من مجموع غرف وسراديب تعرف عند اهل البلاد بالخان منها بناء كبير لايزال محفوظاً يمتد على مسافة ٧٠ متراً والى جانبه جناح في الجنوب طوله ٤٠ متراً . وكانت المياه تصل الى هذه الحمامات بقناة ممتدة من عين قيروان على مقربة من القرية

وعلى ضفة النهر الشرقية آثار كنيسة اخرى يبلغ طولها ٦٠ متراً ولم يبق من اعمدتها سوى ٩ قواعد وكانت عند تأسيسها معبداً مكرساً للالهة نيميزيس ثم حولت الى كنيسة . ويرتقي انشاؤها الى عهد ترايان .

وفي خارج المدينة شمالا اهم مدافن جرش القديمة ولا تزال آثارها ممتدة على جانبي الطريق على خط مستقيم حتى ينابيع الزكناني على مسافة ١٨٠٠ متر . وبالقرب منها حوضان كبيران طول اكبرهما ٩٠ متراً والآخر ٤٩ متراً كانت تجمع فيهما المياه التي كانت المدينة تستقي منها . وعلى مسافة مئة متر من هذا المكان ضريح كبير متقن يعرف حالا بضريح الساموري مما يلفت الانظار منه باب كبير جميل الهندسة واربعة اعمدة منقوشة نقشاً جميلا

قضاء

جبل حوران

السويداء : اكبر قرى حوران وتبعد عن قنوات ساعة ونصف ساعة وعدد سكانها ١٥ الف نفس وفيها مكتب للبريد والتلغراف وهي مبنية في مكان مدينة ديونيسياس على الضفة اليسرى من نهر شتوي يجري بجانبها . وقيل انها كانت تسمى قديماً مكسيميانوبوليس وقد شيد نرفا ترايان هناك عدة حمامات وقناة ماء سنة ١٠٣ للمسيح . ومن آثارها القديمة بقايا هيكل امامه طريق تنتهي ببوابة على شكل قوس نصر وكاتدرائية بنيت في القرن الرابع واقعة في وسط المدينة وآثار مشهد كبير وجامع قائم في مكان بناء قديم . وبالقرب منه بناء آخر فيه محكمة القضاء وفيه كتابة يونانية وعلى رأس الجبل ضريح عليه كتابة قديمة وهو قائم على بناء سفلي من القرن الاول للمسيح .

قنوات : من اهم قرى هذا القضاء وهي قرية كبيرة يقرب عدد سكانها من عدد سكان السويداء وعريقة في القدم مثلها . وكانت تعرف لعهد اليونان والرومان باسم كاناتا واشتهرت في ايام خلفاء انطونيوس وازهرت قبل بصرى . و يذهب بلين المؤرخ الى انها كانت من المدن التابعة لمقاطعة بلاد العربية . وحضر اساقفتها عدة مجامع . ومن اثارها المحفوظ الى اليوم حمام تصله المياه من نبع غزير ينفجر من سفح جبل على مقربة من القرية . وفيها فوق المضيق حصن يشرف عليه وحوله آثار سابقة لعهد الرومان . وهناك هيكل فخم كان مكرساً لعبادة الشمس يستوقف النظر بدقة نقوشه وجمال هندسته وهيكل آخر من عهد الهيكل الاول ولكنه اقل منه اهمية . وفيها ملعب كبير اكثره محفور في الصخر وفيه ٩ صفوف من المقاعد الحجرية . واهم الآثار موجودة في المدينة العليا على ضفة النهر اليسرى اكبرها بناء يقال له السراي وهو مجموع ابنية مختلفة بينها كنيسة فيها نقوش جميلة وفي المدينة كنيسة اخرى ليست بعريقة في القدم . واكثر هذه الآثار محفوظة جيداً . وكان على مسكوكاتها القديمة صورة رأس الالهة ايزيس عليه قناع

بصرى اسكي شام : ومن قراه بصرى اسكي شام اي الشام القديمة وهي قرية متوسطة في الكبر عدد سكانها ١٢٠٠ نفس واقعة في نقطة جميلة تشرف منها على البلاد المجاورة لها وعلى مسافة ٩٠ كيلو مترا في الجنوب الشرقي من دمشق وعلى نحو ١٩٠ كيلوا مترا في الشمال الشرقي من القدس . وهي مربعة الشكل ممتدة على مسافة طويلة ويحيط بها سور محيطه نحو اربعة اميال . وبالقرب منها احواض يجمع فيها الماء في الشتاء ليستقي منها الاهالي في فصل الصيف. وليس في ظاهرها ما ينم على يسر وسعة واكثر ابنيتها من الحجر الاسود الصلد . وكانت قديمًا عاصمة بلاد حوران

اما تاريخها فمما يجدر بالذكر منه انها كانت في بادىء الامر للانباط وظلت تابعة لهم الى ان اصبحت بلادهم مقاطعة رومانية (١٠٥ — ١٠٦ ق . م) في ايام كورنيليوس بالما وسميت البلاد العربية فجعلوها مركزاً للفرقة الثالثة الرومانية ومقامًا لقنصلية . وفي عهدهم كانت تسمى بوسترا وكان فيها مصابغ كثيرة لصبغ الاقمشة الحريرية وازهرت في ذلك الحين متاجرها فكانت آهلة بالتجار والصناع من كل ملة وامة وبلغت شأو المدن الكبرى ولا سيما في عهد الملك ترايان الذي حسنها وادخل عليها اصلاحات كثيرة ورفعها الى مصاف العواصم الكبرى بجعلها قاعدة لمقاطعة البلاد العربية واطلق عليها يومئذ اسم نوفا ترايانا بوسترا اي ترايانا بوسترا الجديدة نسبة الى هذا الملك . وقد نقش اسمها هذا على المسكوكات التي سكت في ذلك العصر وفي الكتابات القديمة التي وجدت فيها . وفي ايام اسكندر ساويرس (٢٢٢ — ٢٣٥) اصبحت مستعمرة رومانية . وفي ايام فيلبس الملقب بالعربي لكونه ولد فيها جعلت قاعدة البلاد . وبعد ان قسمت المقاطعة في عهد ديوكلتسيانس ظلت بوسترا عاصمة القسم الشمالي من البلاد العربية بينما القسم الجنوبي منها كان يشمل فلسطين الثالثة . وكان المؤرخون يصفون ذلك العصر الزاهر الذي مرّ بتلك البلاد بعصر بوسترا وهو العصر الذي كان الرومان مسيطرين فيه عليها ويبتدئ في ٢٢ مارس سنة ١٠٦ . وظلوا يتبعون هذا التاريخ في البلاد العربية

زدحاً طويلا من الزمن . وكانت مركزاً تجارياً مهماً للقوافل وكان يصلها بالخليج العجمي طريقان طريق بري وطريق بحري ممتدان بينهما على خط مستقيم . وكثيراً ما كان يطرقها تجار العرب ولا سيما بنو قريش وبصحبتهم نبي المسلمين وعمه . وفي القرون الوسطى كانت هذه المدينة لا تزال منيعة زاهرة بتاجرها. وقد حاول بدوين الثالث الاستيلاء عليها ففشل . ولم تأخذ بالانحطاط الا بعد ان دمرتها الزلازل سنة ١١٥١ وزادت انحطاطاً في عهد الدولة العثمانية .

والجهة العامرة من المدينة الحالية تقسم الى اربعة اقسام يفصلها حيّان اوشارعان كبيران يمتد احدهما من الشرق الى الغرب وثانيهما من الشمال الى الجنوب. وفيها كثير من الآثار القديمة تحيط بها من كل جانب ومنها ما هو ذو قيمة كبيرة . منها مذبح قديم عليه كتابة واقع بالقرب من الطرف الشمالي الغربي من سورها ولا يزال باب السور الغربي قائماً الى اليوم والى شماله مخفر قديم وفي داخل السور امام الباب نبع بجانبه جامع صغير يليه ضريح قديم . وفي الشارع الممتد من الشرق الى الغرب آثار قناطر قديمة . وعند مدخل الشارع الثالث المتفرع على الشارع الكبير قوس نصر روماني فخم البناء مؤلف من ثلاثة قناطر و يبلغ ارتفاع القنطرة الوسطى منه ١٣ مترا وعليه كتابة لاتينية . وفي الجهة الشرقية ترى بقايا حمامات . وعند ملتقى الشارعين الكبيرين تجد اربعة اعمدة باقية من بناء كبير تنتهي من اعلاها بتيجان ذات نقوش بديعة . ويقابله في الجهة الاخرى بناء قديم متهدم جميل الهندسة لم يبق منه الا عمودان من الرخام الابيض وجدار فيه ثلاثة صفوف من كوات غير نافذة الواحد فوق الاخر كانت تنصب فيها التماثيل. ويستدل من شكل هذا البناء انه هيكل قديم .

وفي الشارع الذي يتفرع على ذلك الحي بالقرب من هذا البناء تجد الى الشمال السوق القديمة وفيه موضع كان فيه جامع كبير امر الخليفة عمرو به فهدم وابتنى له هناك داراً فخمة لسكناه. ويليه جامع قديم ينسب الى عمرو وفيه اعمدة من الرخام

والحجارة البركانية المنقوشة . وفي احد الاعمدة كتابة مؤرخة في سنة ٣٨٣ لعهد بسترا (سنة ٤٨٩ للمسيح) وفي هذا الجامع مأذنة على بابها نقش جميل ويمتد النظر منها الى سهل النقرة وهو من ابهج المناظر ولا سيما في الربيع حيث يكون مكسوا بالخضرة. وترى في الشرق جبل صلخد وفي الجنوب على بعد خمسة فراسخ آثار ام الجمل او بيت جامول وفي الجنوب الغربي جبل عجلون. وبالقرب من هذا الجامع آثار حمامات قديمة .

واما الشارع الجديد الممتد في الجهة الشرقية فهو يمر تحت قوس نصر روماني الى يمينه بقايا بناء قديم كبير والى جانبه اضرحة واعمدة ويتفرع عليه في الشمال شارع يؤدي الى كنيسة بحيراء الراهب القديمة وهي عبارة عن بناء كبير على بابه كتابة يستدل منها انه بني سنة ٥١٣ للمسيح (وقيل سنة ٤١٦ للمسيح و ٤٠٧ لعهد بوسترا) والاصح ان هذه الكنيسة بنيت تذكاراً للشهيدين سرجيوس ويونسيوس . وبالقرب منها بناء آخر يعرف بدير بحيراء الراهب المذكور وهو الراهب اليعقوبي الذي كان بنو قريش ينزلون ضيوفاً عليه في اسفارهم التجارية بين مكة ودمشق . وفي الشمال بناء فيه كتابة عربية جميلة ومذبح عليه كتابة لاتينية وعلى مسافة منه نحو الشمال صومعة لذلك الراهب فوق بابها كتابة يونانية وكانت مؤلفة من خمسة احجار اربعة للجدران وواحد للسقف والباب واحد من هذه الجدران يفتح ويغلق بسهولة كسائر ابنية حوران القديمة فان اجنحة ابوابها ونوافذها وعتباتها كلها من الحجر الحوراني الصلد لقلة الخشب عندهم . وفي الشمال خارج السور جامع يعرف بجامع المبرك سمي كذلك لان من التقاليد الموروثة عند اهل البلاد ان جمل عثمان الذي كان يحمل القرآن برك هناك . وفي الشرق خارج السور حوض كبير لا يزال اساسه محفوظاً وفي الجنوب الشرقي حوض آخر اكبر منه وبجانبه آثار جامع قديم . وفي الجهة الجنوبية من المدينة قصر عظيم شيده الايوبيون في النصف الاول من القرن الثالث عشر وهو راسخ الاركان شامخ البنيان وبالقرب منه جسر مؤلف من

٦ قناطر يؤدي الى ملعب روماني كبير لا يزال باقياً منه ٦ صفوف مقاعد حجرية وتبلغ مساحته ٧٢ متراً وفيه آثار قناطر في اعلاه ودهاليز في اسفله ولا تزال جدران كثيرة منه قائمة الى الآن ويعدّ من اعظم وافخم المشاهد الرومانية في سورية.

صلخد: ومن قرى هذا القضاء صلخد وهي من اهم قرى جبل حوران قائمة على انقاض صلخا (صرخد) احدى المدن التي كانت متممة لحدود مملكة باشان وتشبه بصرى اسكي شام من حيث حالتها الحاضرة وعدد سكانها وتمتاز على القرى المجاورة لها بكثرة المساكن والابراج القديمة القائمة الى اليوم فيها كما لو كانت من عهد حديث مع انه توالت عليها قرون طوال طوت في ثناياها ممالك وشعوباً لا تقع تحت حصر واكثر ابنيتها صالح للسكنى وقد وجدوا فيها صنم الات الذي كان يعبده العرب في هيكل لا يزال بابه قائماً وعليه نقوش. وهي مشهورة بقلعتها القائمة على قمة جبل مخروطي الشكل تشرف على اهم بلاد حوران وتحيط بها خنادق عميقة وتعد من اعظم وامنع حصون سورية. ومما يلفت النظر من آثارها ابواب نقشت في كل منها صورة نسر روماني جوفت ثناياه تجويفاً يستوقف البصر على مثال ما يرى في اكثر النقوش والرسوم التي وجدوها في قلعة بعلبك. والى جانب هذه الصور كتابات عربية ترتقي الى عهد بعيد. وقد وجد علماء الآثار الذين جابوا تلك الاصقاع في هذه القلعة آلة من الحديد اكلها الصدأ فاستدلوا من شكلها انها لنقل الحجارة الضخمة وهي من نوع المخل او العتلة ومصنوعة على اسلوب يساعد على رفع الاحجار الضخمة مهما كانت ثقيلة.

قضاء القنيطرة

القنيطرة: قرية كبيرة تعلو عن سطح البحر نحو الف متر عدد سكانها ٢٥٠٠ نفس اكثرهم شراكسة وهي قاعدة القضاء وتعد من افضل قرى تلك المقاطعة واكثرها انتظاماً واحسنها ابنية واكثرها اهمية واجملها موقعاً لكنها رطبة ولا سيما ليلا وتقع عند مدخل وادخصيب يتوسط قمتين من جبل حيش على الطريق الذي يصل

صفد بدمشق . واهم آثارها القديمة بقايا قلعة واقعة في احد اطرافها وهي مبنية من انقاض مدينة قديمة لم يبق شيء من آثارها يجدر بالذكر وفيها طريق رومانية تصلها بمدينة بانياس

بانياس : واهم قرى هذا القضاء بانياس وهي واقعة بالقرب من احد ينابيع الاردن في سفح لبنان الشرقي بين واديين متحدرين هما وادي الخشابه الآتي من الشمال ووادي زعرى الآتي من الجنوب وبالقرب منها وادٍ ثالث في الشمال يعرف بوادي العسل وهو محرش مكسو بالخضرة ولا سيما عند مبتداه . وتعلو بانياس عن سطح البحر ٣٣٠ مترا وعن تل القاضي ١٧٥ مترا وهي مؤلفة من نحو ٧٠ مسكنا اكثرها داخل السور القديم المحيط بالقلعة ويجري جنوب هذا السور في وادي زعرى نبع غزير يصب بعد مسافة قصيرة من منبعه في مجرى الاردن الاكبر

وهذه القرية مبنية في مكان جزء صغير من مدينة دان القديمة المنسوبة الى قبيلة اولاد دان التي اخذتها وتملكتها ويستدل من بقايا الاعمدة التي وجدوها هناك ان المدينة الاصلية كانت ممتدة على مسافة بعيدة من ذلك المكان نحو الجنوب . واهم آثار بانياس قلعتها المشهورة في تاريخ لبنان وهي عبارة من مجموع ابنية هائلة تحميها من الشمال مياه نبع بانياس وفي اطرافها بقايا ابراج مستديرة مبنية بحجارة ضخمة لا يزال باقيا منها ثلاث قطع كبيرة وفي جدارها الجنوبي بوابة قديمة نقشت عليها كتابة عربية من ايام العرب مع ان البوابة ترتقي الى عهد اقدم من عهدهم وامامها جسر حجري قديم قائم فوق الوادي وفي الجدار قطع اعمدة من الغرانيت .

وفي الطرف الغربي من سفح الجبل يخرج نبع الاردن من طبقة كلسية ممزوجة بالحجارة البركانية وبالقرب من مخرجه مغارة كبيرة كانت قديما معبداً للاله بان وتعرف باسم باتينيون (بانيون) وهو المحل الذى اقيم فيه هيكل هيرودس وقد هدمتها الزلازل والآفات الطبيعية مع تقادم الزمن وتعرف الآن بمغارة رأس النبع . وعند مدخلها كومة عظيمة من الصخور تنفجر من بينها مياه النبع والى يمين هذه

المغارة اربعة مذابح فوق احدها كتابة يونانية معناها : « كاهن بان » . ولعل هذا المذبح كان خاصاً بتمثال لاحد كهنة المعبد . وعلى رأس الجبل مزار يعرف بمزار الولي خضر (مار جرجس) واجمل منظر هناك يشاهد من قلعة الصبيبة وهي حصن منيع من اضخم قلاع سورية واهمها وموقعها على قمة من الجبل تعلو عن المرتفعات المجاورة لها ٢٠٠ متر . ويفصلها عن جبل حرمون (جبل الشيخ) وادي الخشابة . وهي مبنية بغير انتظام على مساواة سطح الجبل وتمتد ابنيتها على مسافة ٤٤٠ مترا من الشرق الى الغرب طولا وعلى مسافة ١١٠ امتار عرضاً من طرفيها اما وسطها فضيق وبين قسميها الشرقي والغربي خندق عميق وسور ضخم مرتفع واجمل مناظرها في الجهة الشمالية . واكثر ابنيتها يرتقي الى عهد الصليبيين الذين احتلوها من سنة ١١٣٩ الى سنة ١١٦٤ وهي مبنية من حجارة مقطعة تقطيعاً جميلا . واما السور فقد سقط في الوادي. ومدخلها من الجنوب وفي شرق المدخل برج مستدير محفوظ الى اليوم كان العرب يطلقون عليه اسم محكمة وفيه من الخارج ثغرات على شكل مذابح وكوات نافذة كانت في ايام العرب مرامي للنبال . وفي وسط هذا البرج ركن ضخم يرتكز عليه السقف وفيه اركان اخرى يعلوها افريز منقوش نقشاً جميلاً بشكل آذان متناسقة . وفي الجهة الجنوبية بعض ابراج منها ما هو محفوظ الى اليوم . والكتابات العربية التي توجد هناك من القرن الثالث عشر وقد نقش اكثرها على اثر اصلاح القلعة.

واحسن منظر يستوقف البصر هناك ما تقع عليه العين من الزاوية الجنوبية الغربية فترى من جهة بانياس وبحيرة الحولة والمرتفعات الواقعة في ما وراء الاردن وفي الشمال الغربي قلعة الشقيف المقابلة لقلعتي بانياس وحونين في الغرب . وفي الجنوب ترى زعرى وعنفيت وفي الجنوب الشرقي عين قنية وفي الشرق دباتا الى آخر ما هناك من المناظر الرائعة التي تأخذ بالابصار

اما تاريخ بانياس فالمشهور منه ان هيرودس العسقلاني ابتنى فيها هيكلا تكريماً

لاغسطس قيصر ثم قام ابنه فيلبس فكبرّها واتمّ تنظيمها وسماها قيسارية او قيصرية فيلبس تميزا لها عن قيسارية فلسطين. ثم ابدل هذا الاسم باسم بانياس وهي لفظة يونانية كانت تطلق على المدينة والمقاطعة كلها نسبة الى مغارة فيها فوق منبع الاردن وهي مغارة بانيون المنسوبة الى الاله بان اله الرعاة باصطلاح الحنفا الذي كرست هذه المغارة لعبادته . وقيل ان المسيح مر على مكان بالقرب منها في الشمال . ثم كبرها هيرودس اغريبا الثاني وسماها نيرونيا تكريمًا لنيرون . ولكن هذا الاسم لم يلزمها الا مدة قصيرة . ولما افتتح طيطس اورشليم اقام في بانياس سلسلة احتفالات والعاب عظيمة ابتهاجًا بانتصاره . وفي التقاليد الموروثة ان هناك شفيت المرأة التي مست ثوب المسيح من نزيف الدم على نحو ما جاء في انجيل متى . ومنذ القرن الرابع كانت بانياس اسقفية تابعة للبطريركية الانطاكية . ولما جاء الصليبيون الى سورية واغاروا على دمشق وعجزوا دونها مروا على بانياس والصبيبة فسلمتا لهم بلا مقاومة (سنة ١١٢٩ او ١١٣٠) ثم وقعت بيد تاج الملوك البوري سلطان دمشق سنة ١١٣٢ واستعادها الصليبيون منه سنة ١١٣٩ . وفي ذلك الحين أنشئت فيها اسقفية لاتينية ألحقت بطرانية صور . ثم استولى عليها نور الدين الزنكي سنة ١١٥٧ لكنه لم يتمكن من اخذ القلعة . ثم استخلصها بدوين الثالث منه ولم يلبث ان استتب له الامر فيها حتى استعادها نور الدين سنة ١١٦٥ . ولما استولى عليها السلطان المعظم دك حصونها ودمرّ قلعتها . وفي ايام السلطان سليم دخلت في حيازة الدولة العثمانية . وقد جرت حول اسوارها مواقع كثيرة لانها كانت مطمحًا لنفوس الفاتحين ومرمى لمطامعهم في جميع الادوار التي تقلبت فيها . وكان لها شأن يذكر في حوادث بني معن وبني حرفوش وغيرهم من امراء لبنان وبعلبك

تل القاضي : ومن قرى هذا القضاء تل القاضي حيث يخرج من سفح الجبل جنوبًا نبع غزير تجتمع مياهه اولا في حوض مساحته نحو ٢٠ مترًا واقع في الجنوب الغربي من التل وهو احد الجداول التي يتألف منها نهر الاردن ويعرف بنهر اللدان

ويسميه فلاف يوسف الاردن الصغير ومياهه تزيد ضعفين عن مياه نهر بانياس وثلاثة اضعاف عن مياه نهر الحاصباني الذي يجتمع به على نحو نصف ساعة في الجنوب بالقرب من مكان يقال له الشيخ يوسف وهناك يبلغ عرض الاردن ١٤ متراً ومجراه ينخفض عن سطح السهل من ٤ الى ٧ امتار. وقرية تل القاضي واقعة على رابية طولها نحو ١٢٠ متراً وعرضها ٨٠ متراً تغشاها ابنية قديمة متهدمة وهي على نحو ٤٥ دقيقة من بانياس ويصل بينهما طريق صاعد من الاول بين بقاع كثيرة المياه والخضرة.

مما يجدر بالذكر من تاريخ هذه القرية انها قائمة في مكان مدينة دان (اي ديان او قاضي ومن ذلك جسر القاضي الواقع في تلك الجهة) القديمة التي وردت حكاية تأسيسها في سفر القضاة وكانت حداً شمالياً لمملكة بني اسرائيل وهناك اقام رحبعام احد العجول الذهبية التي جعل بنو اسرائيل يعبدونها. وقبل ان تملكتها قبيلة دان كانت تسمى لايس وكانت وقتئذ تابعة لصيدون (صيداء) ثم اخذها نبهود ملك سورية كما ورد في سفر الملوك. وقد كان لها في بدء امرها شأن كبير ولما اسست مدينة بانياس اخذت بالانحطاط وما لبثت حتى طمست آثارها ونسخ اسمها من سفر الوجود

ومن القرى الملحقة بهذا القضاء ام القناطر. وجبة الزيت. ومجدل شمس وجميع سكانها دروز. وكفر هارب. وعين الزيوان وغيرها.

قضاء بصرى الحريري

بصرى الحريري: هي قاعدة القضاء ومن اكبر قرى حوران واهمها لا يقل عدد سكانها عن نحو خمسة آلاف نفس واقعة على شفير وادي قنوات الذي عبره الصليبيون في زحفهم على اللجاه سنة ١١١٩ م.

اذرع: ومن اهم قرى هذا القضاء اذرع. كانت تعرف قديماً باسم ذروه اما موقعها فعند الكيلو متر ٩٦ من دمشق على اكمة صخرية تعلو عن سطح البحر نحو ٦٠٠ متر ومحاطة بركام من الانقاض بينها ابراج وحصون مربعة وبقايا كنيستين احداهما باسم مار جرجس والثانية باسم مار الياس وفي احداهما كتابة يونانية يستدل

منها على انهما كانتا اولا معبدين للاوثان اقيمتا هناك تكريمًا لتيانوريتس ثم حولتا الى كنيستين سنة ٥١٥ م

الصنمين : ومنها قرية الصنمين وقد سميت هكذا نسبة الى صورتي صنم منقوشتين في صخر من الحجارة البركانية عند مدخل القرية . وهي قائمة على انقاض مدينة ارسالامين القديمة وفيها كثير من بقايا ابنية قديمة يتخذها الخبيرون بالآثار القديمة احسن مثال لهندسة البناء التي كانت متبعة قديمًا في بلاد حوران . وبين هذه الانقاض آثار هيكل مبني من حجارة صفراء فيه اعمدة جميلة ولا يزال محفوظًا منه الباب والنوافذ وهي منقوشة نقشًا بديعًا يستوقف النظر وقد اقيم تكريمًا لاله الطالع شفيع مدينة بوسترا (بصرى الحالية) كما يستدل من الكتابات التي وجدت على جدرانه . وفي جنوب الهيكل بناء كبير فيه قناطر وغرف على جدرانها نقوش كتابية . وفي خارج القرية لجهة الشمال مدفنان مؤلفان من عدة طبقات مبنية بالحجارة الصفراء والسوداء وفيها نقوش تلفت الانظار بدقتها واتقانها.وفي الطرف الجنوبي من القرية مدفن ثالث لا يخلو من الاهمية وهناك يبتدىء سهل النقرة

قضاء درعا

درعا : قاعدة القضاء ومن اهم قرى حوران واكبرها من حيث نموثروتهاووفرة مواردها وكثرة عدد سكانها الذين لا يقلون في اقل تعديل عن عشرة الآف نفس. مبنية في مكان مدينة قديمة كانت تعرف باذرعي وهي من المدن التي كان يقيم فيها اوج ملك باشان على نهر اليرموك . وبالقرب منها آثار مدينة قديمة في سفح الجبل اكثر مساكنها منقور في الصخور الصماء .

المزيريب : ومن اهم قرى هذا القضاء المزيريب وهي قرية كبيرة قائمة على انقاض مدينة قديمة . تعلو عن سطح البحر ٤٤٠ متراً ويبلغ عدد سكانها زهاء الف نفس . اما هواؤها فرطب مضر بالصحة لكثرة ما يحيط بها من المستنقعات . وهي ملتقى الحجاج فتقف فيها قافلاتهم بضعة ايام في ذهابهم الى مكة ورجوعهم منها لانها

واقعة على طريق الحج وتقام فيها كل اسبوع اسواق عامة يتخلف اليها بضعة آلاف نفس من القرى المجاورة

وتقسم الى قسمين الاول القرية الجديدة ويطلق عليها اسم الدكاكين وفيها سوق للبدو والقسم الثاني ويعرف بكوم المزيريب وهو قائم في مكان المدينة القديمة في وسطه بركة البجه وهي بحيرة صغيرة يكثر فيها السمك والحجاج يقبلون على الاستحمام فيها والاكل من سمكها لانهم يعتبرونها من الاماكن المقدسة . ويخرج من هذه البحيرة احد ينابيع نهر اليرموك .

وفي الجهة الشرقية من المزيريب قلعة تعرف بالقلعة العتيقة وقد اقامها السلطان سليم الاول هناك سنة ١٥٢٢ لحماية الحجاج . وفي وسطها جامع متهدم . وفي القسم الشمالي قلعة اخرى تعرف بالقلعة الجديدة . وفي المزيريب محطة للخط الحديدي الحجازي

ام مخيس : ومن قراه ام مخيس التي كانت تعرف قديماً باسم غادارا وكانت في القديم من اهم مدن البيره وهي المدن الواقعة في ما وراء الاردن وكان يطلق عليها قديماً مدن ديكابول وهي مجموع مدن متحالفة ومتمتعة باستقلالها الداخلي . ومما يجدر بالذكر من تاريخها ان انطيوخس الكبير استفتحها سنة ٣١٨ ق. م وكانت في ايامه من احصن المدن واقواها ثم استولى عليها اسكندر ينى سنة ١٩٨ . ولما دخلت في حيازة بومبايس رممها بناء على توسلات محررها ديمتريس الذي ولد فيها وادخل عليها اصلاحات كثيرة ثم وهبها اغسطس لهيرودس الكبير . ولما مات هذا عاد فضمها الى مملكته . ولما اجتاح فسبسيانس بلاد اليهودية كانت غادارا في جملة المدن التي وقعت بين يديه وخربت . وقد وجدوا فيها مسكوكات من عهده . ثم اصبحت فيما يلي من الزمن مركز اسقفية لفلسطين الثانية . واشتهرت قديماً بحماماتها المفيدة فكانت محط الرحال لمن كان يشكو الاسقام من اهل البلاد . وقد حفظ اسمها القديم طي اسم « جادور مخيس » ويسميها علماء الجغرافية من العرب « جادار »

وهذه القرية واقعة على علو ٣٧٠ متراً عن سطح البحر في الطرف الغربي من اكمة منبسطة تفصل بين وادي اليرموك في الشمال ووادي العرب في الجنوب . يمتد النظر منها الى وادي الاردن وهو اجمل ما تقع عليه العين هناك من المناظر البديعة . وعند مدخلها الشرقي نواويس تشتمل على اضرحة قديمة مقفلة بابواب حجرية ومنها ما هو ذو قيمة تاريخية كبيرة . وفي سفح الجبل مدافن اخرى على مثالها مزينة الجوانب بنقوش تمثل زهوراً وصوراً نصفية لابولون اله القوة وعلى اغطيتها الحجرية خطوط مستطيلة . وقد اتخذت طائفة من الفقراء هذه النواويس مأوى لها . وفي الغرب مسرح قديم محفوظ من جميع جهاته ما عدا القسم الاعلى منه فهو متهدم. وعلى نحو ٢٠٠ متر من ذلك المكان نحو الغرب مسرح آخر اوسع مساحة من الاول وهو مبني بالحجارة البركانية ولايزال محفوظاً الى الآن. واهم احياء المدينة القديمة في الغرب. وهي ممتدة عند سفح الجبل على مسافة نصف فرسخ بدليل ما يشاهد هناك الى اليوم من انقاض الابنية بين حجارة مقطعة واعمدة مصنوعة على الهندسة الكورنثية وغير ذلك وما زالت اسس الابنية الضخمة ظاهرة جلياً وارضها مبلطة بالبازلت . واكثر آثار ام مخيس اهمية ما بقي من سورها وهو مستطيل يمتد على خط مستقيم وعلى جانبيه صفان من القناطر مرتكزة على اعمدة ضخمة . ومنها كنيسة كبيرة وقلعة ضخمة ترتقي الى عهد عريق في القدم .

هامه : ومنها قرية هامه او هامي واقعة على الضفة اليسرى من نهر يجري هناك يعرف بنهر اليرموك وهو على مسافة ساعة من ام مخيس . اشتهرت قديماً بحماماتها وهي ثلاثة حمامات كانت تعرف في ايام الرومان بحمامات اماتا وقد انشأوا لها ابنية ضخمة لا تزال آثارها محفوظة الى اليوم اكبرها واقع على الضفة اليمنى من النهر وهو محاط بقاعات فسيحة ذات قباب مستديرة متهدمة وقد كتب المؤرخون الاقدمون كثيراً عنها واطنبوا في وصف منافعها . وتخرج منها ينابيع مياهها كبريتية وترسب في قعرها مواد

تستعمل في الطب وهي مقصودة من اطراف البلاد واكثر ما يؤمها طلاب الاستحمام في شهر ابريل (نيسان)

الشهباء : ومنها الشهباء وهي من اهم قرى حوران. كان لها شأن في حملة سنة ١٩١٠ التي جردتها الدولة العثمانية على جبل الدروز بقيادة سامي باشا الفاروقي على نحو ما تقدم . وكانت تعرف قديماً بفيلوبوبولس وقد بقي من آثارها السور بتمامه وبعض ابنية رومانية وفيها شوارع فرشت ارضها بصحائف حجرية متناهية في الطول ولا يقل عرض الشارع عن ٧ امتار ونصف متر ويستدل من الآثار التي وجدوها فيها انه كان على جانبيها قناطر مرتكزة على اعمدة ضخمة وكانت مقسومة الى حيّين كبيرين يتفرع على كل منهما عدة شوارع . وعند ملتقاهما آثار بناء قديم على مسافة ١٢٠ متراً منه نحو الجنوب آثار اخرى لعدة حمامات تشتمل على غرف مزينة بالنقوش الجميلة ويرى الى الآن على جدرانها المشابك المعلقة بها احجار الرخام التي كانت تكسوها. وترى آثار الاقنية التي كانت توزع بها المياه على الحمامات قائمة على قناطر لا تزال خمسة منها محفوظة الى اليوم . وعلى نحو ٢٣٠ متراً من مفترق الطرق نحو الشرق خمسة اعمدة متخلفة من باب هيكل قديم لم يبق منه الا بعض الجدران الخارجية وهو موجه نحو السهل وبينه وبين الشارع الكبير هيكل صغير والى جانبه ناووس . وبالقرب من بيت شيخ القرية بناء غريب الشكل غائر في الارض على عمق ٤ امتار ونصف متر في وسطه قبة مستديرة عرضها ٤ امتار تحيط بها كوات غير نافذة بشكل مذابح كانت توضع فيها التماثيل . وامامه ساحة كبيرة غير مسقوفة . وليس في هذا البناء كتابة يستدل منها على تاريخ انشائه واسم الباني له .

والشهباء قرية ضخمة واقعة على ذروة جبل وطريقها وعر وهو عبارة عن مضيق صاعد صعب المرتقى وفيها طريق الى اللجاه . ويمر بها خط السكة الحديدية الممتد بين دمشق وحوران ويجتازها الى وادي نمره الذي يعرف في جهته السفلى بوادي اللوا على حدود اللجاه . وفي شمال هذا الوادي الشرارات الشمالية ثم تل شيحان (١١٤٠

متراً) وهو جبل عال في جهته الغربية بركان يقابله بركان آخر في جبل عال يعرف بالشرارات القبلية وقد ثارا قديماً وملئا اللجاه بالمقذوفات النارية على ما يروي التاريخ ولذلك سميا بهذا الاسم

وهناك قرى اخرى كثيرة كراميتا وبصرى وغيرهما مما لا يتسع المقام لذكره والاسهاب فيه .

تلك لمحة طائرة عن جغرافية حوران وتاريخها أردنا بها تعريف هذه البلاد تعريفاً واضحاً يساعد على استيعاب ما بسطناه في هذه النبذة من امورها والاحاطة بما له صلة من هذه الامور بالمسألة السورية مما سبقنا فذكرناه في ما تقدم او ما سنذكره في ما يلي بحيث يكون القارىء على بينة مما يطالعه عنها ويتمكن من الالمام بالجليل والحقير من شئونها واحوالها .

تطور الحال

حوران في اثناء الحرب العظمى

كان دخول تركيا في الحرب الكونية الى جانب المانيا والنمسا في مقدمة الاسباب التي بعثت عرب الحجاز على السعي للانفصال عنها والاستقلال بشئونهم من دونها ولا سيما انها نهجت بعد اعلان الدستور نهجاً مناقضاً لمصلحة العرب بالاجمال. وجهر الاتحاديون بعدائهم للعنصر العربي وشهروا عليه حرباً عوانًا اذلالاً له وتعزيزاً للجامعة الطورانية وتقوية للعنصر التركي ظنًا منهم ان عناصر الحياة الحقيقية متوافرة فيه توافراً يمكنهم من الاستغناء به عن نشاط العرب وذكائهم وهو عين ما فعلوه مع العناصر الاخرى التي كانت تتألف المملكة العثمانية منها ليخلو لهم الجو ويستأثروا بالحكم والسلطان ويديروا دفة الامور في الاتجاه الذي تهب فيه ريح اهوائهم ويتاح لهم به تحقيق اغراضهم وأمانيهم . وهذا شر ما تبلى به الامم والشعوب ولا سيما متى كانت على ما كانت عليه الدولة العثمانية وقتئذ من ضعف العنصر الذي يستأثر بالحكم فيها وينفرد بادارة شئونها والسيطرة على الجليل والحقير من امورها والسهر على مصالحها من دون سائر العناصر التي تتألف منها . وقد جاءت الايام مخيبة لآمال الاتحاديين ومحبطة لمساعيهم . فتوسل العرب بدخول الدولة العثمانية في الحرب الى تحقيق امانيهم القومية . وجاء تهديدها لمصالح الحلفاء في الشرق ولا سيما للمصالح البريطانية في مصر والعراق خير مشجع لهم على النهوض والتأهب للعمل حيث انبرت انجلترا للذود عن مصالحها ورأت ان تنشيط الحركة التي نشأت في البلاد العربية لخلع نير الاتراك مما يسهل عليها ادراك غرضها فاتفقت مع شريف مكة على ان يعلن استنكاره للحرب الدينية التي اعلنها الخليفة على دول الحلفاء لقاء تأييدها للحركة العربية وتمهيدها السبيل

له الى تأليف مملكة عربية واسعة النطاق يتقلد زمامها بنفسه . وقد صادقت فرنسا وروسيا على هذا الاتفاق في ١٩ فبراير سنة ١٩١٦ وهو الاتفاق الذي اتخذ أساسا لمعاهدة سايكس — بيكو التي ابرمتها الحكومتان الانجليزية والفرنسوية في ٩ مايو سنة ١٩١٦ .

ومع ان المملكة العربية التي اتفق الحلفاء على تأليفها لم تتناول حوران بذاتها لخروجها عن دائرة المنطقة التي رسمت لها في اتفاق سايكس — بيكو فان هذه البقعة من سورية تعدّ بحكم الفطرة وبحكم التاريخ عربية النزعة. ولها صلة وثيقة بالحجاز واهله من الوجهتين الجغرافية والدينية علاوة على الاخلاق والعادات والتقاليد مما يقرب بين الشعبين ويفسح مجالا لاتفاقهما التام من الوجهة السياسية . وهذا عين ما وقع في اثناء الحرب يوم شرع عرب الحجاز في بث دعوتهم . فان هذه الدعوة صادفت هوى من نفوس الحوارنة وفي جملتهم الدروز فتفاءلوا فيها واستبشروا خيراً وعدوا تنشيط الانجليز لدعاتها واعوانها نعمة كبرى لهم فكانت بلادهم مرتعاً خصباً لرسل الشريف وانصاره وحلفائه وملجأ امينًا لكل طريد شريد من رجال الجيش العثماني وخصوصاً العرب والسوريين واللبنانيين . وكان استئناس الدروز على الخصوص بهذه الدعوة واشتراك الانجليز في ترويجها مما شجعهم على قلب ظهر المجن للاتراك والظهور بمظهر المناوىء لهم المزدري بشأنهم . فكانوا يأبون التعامل بورق النقد التركي ولا يقبلون غير الذهب ثمناً لما كان يبتاعه الاتراك من حاصلاتهم . واكرهوهم بالموقف الذي وقفوه تجاههم على ان يحسبوا حساباً لانتقاضهم عليهم وشق عصا الطاعة في وجههم وهم منصرفون الى الحرب لا مخرج لهم من المأزق الحرج الذي زجهم فيه حلفاؤهم الالمان ولا سيما بعد ان ايقنوا ان النصر لن يكون من نصيبهم وان البلاد السورية برمتها خارجة من يدهم وايامهم فيها باتت معدودة .

اما الشريف فلم يقتصر على بث دعوته في الاقطار العربية لانه كان يطمح الى

ادخال سورية ولبنان في دائرة مملكته المقبلة المترامية الاطراف فنشط انصاره واعوانه لبث الدعوة العربية فيها مع ان المندوب السامي البريطاني في مصر كان قد سبق فارسل اليه في ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ مذكرة ابلغه فيها ان لبنان ومنطقة السواحل السورية خارجان عن دائرة الاراضي التي اعطيت له بمقتضى الاتفاق الذي عقد معه وصادق عليه الحلفاء . فكانت هذه الدعوة الجديدة في لبنان وسوريه من العوامل التي بعثت في نفوس الدروز روحاً جديداً كان لهم بمثابة مهماز او منبه فتح عيونهم لرؤية مشهد جديد من مشاهد الرواية التي كانت تمثل في الشرق الادنى: تجلت لهم صورة خيالية ليد الدولة الصديقة من خلال هذه الدعوة وثنايا تطوراتها وملابساتها فخيل اليهم انها صورة حقيقية لها فاغتروا بها وظنوا ان هذه الدولة تؤيد دعوة الشريف حتى ما وراء الحدود المعينة لها ولو تناولت لبنان وسورية اللذين ليسا من الاقطار العربية التي عاهدته على ترويج دعوته هذه فيها . فانقادوا الى دعاتها ومروجيها من رجال الشريف واعوانه في الديار الشامية . ولاح لهم شبح السياسة الانجليزية بشكل سراب لامع ظنوه ماء وليس هو بماء . ذلك لان تعويلهم منذ اتخذوها نصيرة لهم في كل امر من امورهم جليلاً كان او حقيراً انشأ في نفوس الذين الفوا منهم اتخاذ الظواهر اساساً لاحكامهم نوعاً من الوهم شوه الحقائق في نظرهم تشويها بدت لعيونهم معه على غير صورتها . وهذا شأن كل امة شرقية مستضعفة مع دول الغرب التي تتجاذبها وتتنازع النفوذ في ارضها متوسلة بما تدعيه من الحق في حمايتها الى السيطرة عليها والاستئثار بمرافقها .

حوران بعد الحرب العظمى

ذلك كان شأن حوران وموقف الدروز الى ان وضعت الحرب اوزارها وانتهت في الديار الشامية بجلاء الترك عن دمشق في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١٨ ودخول هذه البلاد في عهد جديد افتتح بالشروع في تطبيق اتفاق سايكس ـ بيكو . وفي اول اكتوبر دخل الامير فيصل (واليوم ملك العراق) الى الفيحاء على رأس الكتيبة

التي كان يقودها ليتقلد زمام الحكم فيها وفي اليوم التالي اوعزت حكومة دمشق العربية الى مجلس بلدية بيروت برفع الراية الحجازية على دور الحكومة ثم وصل ضابط عربي لتنظيم الحكومة الجديدة فحال اعتراض الانجليز له دون مرامه واكره على انزال الراية العربية والعودة الى دمشق وعين الكولونل دي بيباب الفرنسوي حاكماً على بيروت .

واشفق اللبنانيون ان يتمكن الشريف حسين بعد ان اصبح ملكا على الحجاز من بسط سيادته على لبنان وساحل البحر ولا سيما ان الامير فيصل كبير انجاله سعى بعد وصوله الى دمشق في هذا السبيل وانتهج في ترويج الدعوة العربية هناك نهجا لا يتفق مع مصلحة اللبنانيين ولا يحقق امانيهم الوطنية . فصحت عزيمتهم على فصل بلادهم عن سورية والاستقلال بشئونهم استقلالا تاماً قاطعاً ايصاداً لكل باب في وجه العرب ومريديهم من مروجي دعوتهم في البقاع اللبنانية . ولو ان هؤلاء المريدين والانصار اتبعوا في ادراك غرضهم خطة المسالمة ووقفوا في نشر دعوتهم عند حد لاستطاعوا اجتذاب كثيرين من اللبنانيين واهل الجوار اليهم واستمالة زعماء معدودين الى الحكومة الفيصلية . ولكنهم جروا على خطة العنف والمشاكسة والفوا العصابات أرهاباً للاهلين وحملا لهم على الاذعان لهم والاستلام الى الذين انتدبوهم لهذه المهمة الشائنة . وقد ارتكبت هذه العصابات من الجرائم والموبقات ما تقشعر له الابدان وتنهلع لهوله القلوب وتشيب لفظاعته نواصي الاطفال . واكثر ما كان ذلك في قضاء مرجعيون حيث انصرفت العصابات الى المذابح والنهب وانتهاك الاعراض ودك الدور وحرق المنازل وتشريد السكان مما كان له اسوأ وقع في النفوس وحمل اهل المقاطعات الجنوبية والشمالية التي سلخت عن لبنان بعد حوادث سنة ١٨٦٠ على النفور من حكومة دمشق ونبذ الدعوة العربية والالحاح في طلب الانضمام الى لبنان. وجاءت هذه الحوادث وامثالها ونظائرها مما لا يتسع المجال لبسطه في هذه النبذة منشطة للحكومة اللبنانية على المضي في طريقها ومتابعة الخطة التي رسمتها لنفسها للذود عن حياض البلاد وصيانة مصالحها والمطالبة بحقوقها

موقف لبنان بعد الحرب العظمى

وفي شهر يناير سنة ١٩١٩ الف مجلس ادارة لبنان وفداً من ستة مندوبين من اعضائه ليعرض على مؤتمر الصلح المطالب الآتية :

١ ـ توسيع حدود لبنان بحيث تتناول جميع الانحاء المنسلخة عنه في عهد الدولة العثمانية ـ ٢ الاعتراف باستقلال لبنان التام وبحقه في اختيار نوع الحكم الذي يصلح له ـ ٣ انشاء مجلس نواب منتخب على قاعدة التمثيل النسبي تأميناً لحقوق الاقليات . ويكون لهذا المجلس حق التشريع والتمتع بجميع ما تتمتع به مجالس النواب في الحكومات الديمقراطية من الحقوق والامتيازات ـ ٤ معاونة فرنسا له ومساعدتها لحكومته الوطنية وتأييدها لاستقلاله .

بيد ان الامير فيصل استمر على مواصلة مساعيه لادماج لبنان في سورية وحمل الحلفاء على عدهما في جملة الممالك العربية . وفي ٣ فبراير سنة ١٩١٩ تقدم بنفسه الى مؤتمر الصلح بمطالبه باعتبار انها مطالب الاقطار العربية برمتها وفي مقدمتها المطلب المتعلق بسيطرته على سورية ولبنان . ومع ان المؤتمر لم يجبه الى طلبه هذا فانه تمكن من حمل الحكومة الفرنسوية على الاعتراف بحكمه لسورية مقابل وعد من جانبه بان يوعز الى الحزب العربي في دمشق بالاعتراف بالانتداب الفرنسوي .

وفي شهر مايو سنة ١٩١٩ عاد الامير فيصل الى سورية وهو وطيد الرجاء ان يضم لبنان الى سورية معلقاً اعترافه الصريح بالانتداب على هذا الشرط . ومما زاده تشبثاً بمطلبه هذا ما شهد وهو في باريس من فشل الوفد اللبناني واخفاقه في مهمته على رغم مجاملة الحكومة الفرنسوية لاعضائه وحفاوتها بهم وما رآه من سعي هذه الحكومة لحمل اللبنانيين على الانضمام الى دمشق .

على ان اللبنانيين اجمعوا على المعارضة في تنفيذ المشروع وهو ما لم يكن احد يشك في اتحاد كلمتهم عليه . وانبرت الجمعيات اللبنانية في مصر واميركا وغيرهما للاحتجاج الى مؤتمر الصلح على مطالب الامير فيصل . وحاول ممثل الحكومة

الفرنسوية في لبنان حمل غبطة بطريرك الموارنة على التسليم بالحاق لبنان بحكومة دمشق العربية واحرج موقفه فاجاب غبطته بما يأتي « ان الموت في ظل صخورنا خير لنا من الانضمام الى دمشق » . فجاء جواب البطريرك مطابقا لما هو مأثور عن اللبنانيين من صدق وطنيتهم وشدة تعلقهم بوطنهم لبنان واستماتتهم في سبيله ومعبراً عن عواطفهم وعواطف مواطنيهم من سكان الاقاليم التي سلخت عن لبنان بدليل ان هؤلاء كانوا في مقدمة الذين انابوا البطريرك اللبناني الكبير عنهم في مؤتمر الصلح ليطالب باستقلاله وحقه في استرجاع هذه الاقاليم

الوفد اللبناني في مؤتمر الصلح

وقد سافر غبطة البطريرك الى باريس في صيف سنة ١٩١٩ وهو يحمل توكيلا عاماً من اللبنانيين جميعاً على اختلاف طوائفهم ومواطنهم . وفي ٢٧ اكتوبر سنة ١٩١٩ تقدم الى مؤتمر الصلح بمذكرة ضافية اثبت فيها اهلية لبنان للحكم الذاتي والاستقلال التام مؤيداً حقه في الحياة الحرة المطلقة من القيود السياسية بالحجة القاطعة والبينة الساطعة معللا صواب مطالبه بما تجلى لعيون العالم المتمدن من فضائل قومه وقابليتهم لاقتباس افضل ما في الحضارة العصرية من المميزات المربية للاخلاق المهذبة للنفوس الموسعة للمدارك معززاً كلامه في نضوجهم الادبي والسياسي الذي يؤهلهم للحرية والاستقلال بشواهد محسوسة وادلة ملموسة لا تنقض بحجة ولا تدفع ببرهان منوها على سبيل المثال باعمالهم في مصر وبما احرزته جماعة كبيرة منهم في هذه البلاد السعيدة من المكانة السامية والنفوذ العظيم ولا سيما الذين تقلدوا وظائف عالية في الحكومة المصرية وكان لهم والمذين اشتغلوا بحرفة العلم وغيرها مما يدخل في باب الادب يد طولى في تعزيز نهضة مصر الحديثة التي باتت مضرباً للامثال . وبعد ان بين ان لبنان خبر ستين سنة شكل الانتداب الدولي وتم تربيته السياسية من عهد بعيد وانه اصبح اهلا لان يحرز نصيبه من السيادة القومية المطلقة استطرد الى الاعراب عن استعداد اللبنانيين للرضوخ للقرار الذي اصدره مؤتمر الصلح في ما

يتعلق بنظام الانتداب واغتباطهم بما استقر الرأي عليه وهو ان يوضع لبنان تحت اشراف دولة من دول الحلفاء الكبرى لترشده وتعني بامور وشئونه عناية صادقة على وجه يتفق مع روح الانتداب و ينطبق على نص البند ٢٢ من عهد عصبة الامم. ثم تطرق الى التنويه بما بين لبنان وفرنسا من الصلات التاريخية العريقة مما يحدو به الى اختيارها لهذه المهمة الدقيقة خصوصاً ان هنالك من الاعتبارات الادبية والتقاليد الموروثة التي يعلق اللبنانيون عليها اهمية خاصة ما يحملهم على الاعتقاد بان اختيارهم لهذه الدولة مفض الى تحقيق امانيهم الوطنية ومؤد بلاشك من اقرب الطرق وافضلها الى الغاية التي يتوخاها المؤتمر من تقرير مبدأ الانتداب الدولي . »

وعاد غبطة البطريرك الى لبنان مرتاحاً الى ما لقيه من الحفاوة والاكرام سواء من جانب مؤتمر الصلح او من جانب اقطاب فرنسا ورجال حكومتها . وقد زوده الموسيو كليمنصو وهو يومئذ رئيس الوزارة الفرنسوية برسالة يعترف فيها بحقوق لبنان وصواب مطالبه ويعاهد البطريرك باسم حكومته على العمل لصيانة هذه الحقوق وتحقيق تلك المطالب

الانتداب الفرنسوي

استفتاء السوريين واللبنانيين

اما الامير فيصل فقد اخلف ظن فرنسا فيه لان السياسة التي انتهجها بعد عودته من اوربا اوهمت الناس ان مؤتمر الصلح وافق على استقلال سورية التام واطلق الحرية لحكومتها العربية في اتخاذ الخطة التي تختارها للحكم مخولا لها الحق في تعيين من تشاء من الاخصائيين الاجانب في الوظائف الفنية بغير ان تستعين بدولة معينة من دول الحلفاء . وقد رسخ هذا الوهم في نفوس القوم حتى اصبح عندهم من الحقائق المقررة ولا سيما بعد ان اشتدت المناظرة الدولية على السيادة في انحاء الشرق الادنى والسيطرة على بعض اقطاره وهو ماحدا بدول الحلفاء الى الاتفاق على استفتاء السكان في هذه الاقطار في امر الانتداب . وقد جرى الاستفتاء في سورية

ولبنان على يد لجنة اميركية والامير فيصل يومئذ سيد البلاد المطلق فكان المسلمون وبعض المسيحيين في سورية في جانب الامير فيصل او بعبارة اصح من طلاب الاستقلال التام وخصوم الانتداب والمسيحيون وبعض العناصر الاخرى في لبنان من طلاب الاستقلال مع انتداب فرنسا . وانشأ هذا الاستفتاء حركة فكرية عظيمة افضت الى مناورات سياسية خطيرة . وبعد ان دارت المفاوضات الرسمية بين حكومتي باريس ولندن عقد مؤتمر سان ريمو واقر الانتداب الفرنسوي في سورية ولبنان وقيليقية واحلال الجيش الفرنسوي محل الجيش البريطاني في بلاد العلويين والمنطقة الساحلية وهي المنطقة التي اختصت بها فرنسا نفسها في اتفاق سايكس - بيكو . اما داخلية سورية واخصها دمشق وحلب وحمص وحماه فاخرجت من دائرة الاحتلال العسكري بحيث يكون ظل الانتداب فيها ضعيفاً ضئيلا لايكاد السوريون يشعرون به

مؤتمر سان ريمو والانتدابات

ومع ان قرار مؤتمر سان ريمو لم يأت طبق رغائب فرنسا وامانيها فانها اضطرت ان تنزل عنده وتراعي في تطبيقه عواطف الامير فيصل وامياله . بيد ان الامير لم يعدل عن خطته وكان يطمع باكثر من ذلك خصوصاً ان الحزب العربي في دمشق التف حوله واكثر من التدخل في شئون الحكم فافسد عليه الامر واحرج موقفه بازاء الدولة المنتدبة ولا سيما بعد ان عادت العصابات الى اعمالها المنكرة في الاقاليم الجنوبية المناوحة للبنان وهي الاقاليم التي طلبت الانضمام اليه وبادرت الحكومة الفرنسوية الى تدارك الحالة ومعالجتها بتعيين الجنرال غورو مندوباً ساميا لها في سورية ولبنان وهو من كبار رجال الحرب الذين يشار اليهم بالبنان فتوقع الجمهور في لبنان خيراً على يده وباتوا يرجون ان يستتب الامن بعد وصوله فتطمئن النفوس ويسكن ثائر الخواطر وتعود الحياة العامة في هاتيك الربوع الى مجراها الطبيعي المعتاد

صدى قرار المؤتمر في سورية ولبنان

اما الحالة قبل ان يعين الجنرال غورو مندوباً ساميا للدولة المنتدبة في سورية

ولبنان وقيليقية فكانت كما وصفت في مجلة «اسيا» الاميركية (سبتمبر سنة ١٩٢٠) صراعاً بين قوتين قوة تقرير المصير الوطنية وهو المبدأ الذي نادى به الرئيس ولسن وايده الحلفاء بلسان رجال السياسة في غير موقف من مواقفهم الرسمية والثانية قوة النزعة الاستعمارية التي يعبر عنها بلفظة « امبريالزم » ونعني بها تصميم الحلفاء على اقتسام المنافع التي تعود اليهم بحق الفتح وبمقتضى المعاهدات السرية التي عقدت في سنتي ١٩١٥ و١٩١٧ . وهذا الصراع نشأ قبل ان ينفرط عقد مؤتمر فرسايل وتفاقم بعد ان عقد مؤتمر سان ريمو حيث اقر الحلفاء مبدأ الانتداب واحرز كل منهم النصيب الذي كان يمني النفس به منه فكان نصيب بريطانيا العظمى فلسطين والعراق ونصيب فرنسا سورية ولبنان . وكان اول مظهر من مظاهره حركة فكرية شديدة تناولت هذه الاقطار برمتها واتصل صداها الى الخارج فتجاوب بين الاندية السياسية وتردد بين المهاجرين من ابناء البلدان المشمولة بالانتداب فكان له اثره في اعداد الافكار للثورات المسلحة التي اتقدت نيرانها في كل بقعة من هاتيك البقاع وعصفت ريحها في مختلف ارجائها فاكتسحتها واوهنت قواها ودكت عزائم سكانها وتركتهم يعالجون سكرات الموت ويعانون الم الضنك والشقاء

وقد شرع في تطبيق نظام الانتدابات في الشرق الادنى في احوال غير ملائمة له ولا سيما انه ظهر في مختلف الانحاء التي طبق فيها بمظهر عسكري وهو المظهر الذي لا ينم على حقيقة روح الانتداب القائم على قاعدة تقرير المصير التي نادى بها الرئيس ولسن واقرها الحلفاء علاوة على ان سكان هذه الانحاء كانوا قد سئموا في اثناء الحرب المظاهر العسكرية المقرونة بشر مظاهر النظام الامبريالزمي فلم يصادف المظهر الذي تجلى الانتداب به لعيونهم هوى من نفوسهم . هذا من جهة ومن جهة اخرى ان الدولتين المنتدبتين لاقطار الشرق الادنى التي سلخت عن تركيا لم تكونا على استعداد تام لمواجهة الصعاب التي نشأت عن نظام الانتداب بشكله هذا ففرنسا مثلا عانت كثيراً من المشاق منذ العام الاول لاقدامها على تنفيذ الانتداب . فاضطرت ان

ترصد قوات عسكرية كبيرة لقمع الفتن التي شبت في البلاد المشمولة بانتدابها وأكرهت بعد حوادث قيليقية الشهيرة وتكاثر العصابات التركية على حدود سورية الشمالية واحراجها لموقفها هناك على توقيع هدنة غير ملائمة لها ولسورية نفسها مع حكومة مصطفى كمال وتصحيح الحدود بين سورية وتركيا على وجه لا يتفق مع مصلحتها ومصلحة السوريين وجلت عن قيليقية ليمكنها ان تنصرف الى قمع الفتن التي كانت ناشبة في الشرق والجنوب .

ولا يتسع المقام - ونحن نكتب عن حوران وعن الفتن التي شبت في الاقاليم الجنوبية من سورية ولبنان لشدة صلتها بحوادث حوران وشئونها - للاسهاب في الكلام عن الثورات التي اتقدت نارها في الاقاليم الشمالية والشرقية وحسبنا ان نذكر منها على سبيل المثال ثورة حصن الاكراد وقد نشبت في خلال سنة ١٩١٩ وانتهت باعتقال فريق من زعماء الدنادشة وحرق غير قرية من قراهم وفرض غرامة عليهم قدرها خمسون الف ليره ذهب . وثورة جبال العلويين وهي الثورة المعروفة بثورة الشيخ صالح وقد اتسع نطاقها وتفاقم امرها حتى اضطر الفرنسويون الى حشد قوات كبيرة لقمعها واطفاء نارها قبل ان تندلع السنتها الى الاقاليم المجاورة . وقد انتهت باعتقال كثيرين من زعماء النصيرية وشنق بعضهم وتدمير بعض قراهم وتشريد كثيرين منهم وفرار عدد كبير من الثوار الى اميركا وفرضت عليهم غرامة مالية كبيرة . وثورة تل كلخ وقد ابتدأت بفتك الاهلين ببعض ضباط فرنسويين فاقتصت منهم السلطة العسكرية بقذف القنابل من الطيارات على قريتهم فدمرتها وشنقت بعض زعمائهم وفرضت عليهم غرامة مالية كبيرة . وفتنة بعلبك وفتنة حماه وقد قمعتا بشدة . هذا في الشرق والشمال واما في الجنوب ففي سنة ١٩١٩ وقعت فتنة في قضاء الشوف من اعمال لبنان وجاءه الاميرال مورنه قائد الاسطول الفرنسوي في مياه الشرق زائراً شيخ عقل الدروز واطلق النار عليه في مزرعة الشوف واصيب بجراح بليغة ولكنه لم يقتل وغفر للمعتدين عليه مصرحاً للذين عادوه من اعيان البلاد وكبراء الدروز انه يعد « الجرح الذي اصيب به وسماً شريفاً وان ما اهرق من

دمه في ارض لبنان انما هو رمز للقران السعيد الذي عقد بين فرنسا ولبنان » . وقد اقتص الفرنسويون من مزرعة الشوف باطلاق المدافع عليها وتدمير جانب من بيوتها .

الدسائس في الداخل والخارج

اما في دمشق فبعد ان اقر مؤتمر سان ريمو الانتداب الفرنسوي على سورية ولبنان تجلت حفائظ النفوس الراغبة عن الانتداب الناقمة على فرنسا والموالين لها بمظهر جديد كان المسيحيون من سكان الاقاليم الجنوبية التي طلبت الانضمام الى لبنان في مقدمة الذين استوقف ابصارهم لانهم كانوا هدفا لسهامها ومرمى لنبالها لانحيازهم الى جانب دولة لا تدين بدين القوم ولا تعترف لهم بحق السيطرة التامة على كل ما كان واقعاً من شئون البلاد والعباد تحت سيطرة الدولة العثمانية التي يعدون انفسهم ورثاءها الشرعيين . ومن جهة اخرى كان الاتراك وحلفاؤهم الالمان والبولشفيك قد شرعوا في بث دعوة واسعة النطاق اثارة للخواطر واقلاقا للنفوس واهاجة للرأي العام السوري واللبناني على الانتداب الفرنسوي معتمدين في نشر دعوتهم هذه وترويج مبادئهم وتعاليمهم القاتلة على الطبقات الجاهلة والعناصر الثائرة من الشعبين السوري واللبناني . فاثمرت دعوتهم في غير جهة من جهات البلاد ولا سيما في بيروت حيث تجلت بمظاهر شتى اهمها مظهر الاعتصابات وفي مقدمتها اعتصاب عمال الترامواي وفي دمشق حيث افرغت في قالب ثوروي بحت لم يلبث ان برز الى الوجود وتجلى للعيون حتى عصفت ريح الثورة في انحاء الجنوب من حدود حوران الى ساحل البحر واكتسحت الاقضية الجنوبية برمتها وعلى الخصوص قضاء مرجعيون واشتد ساعد العصابات العربية البدوية بمن انضم اليها من الشيعيين والدروز وبرز الى الميدان الامير محمود الفاعور شيخ عرب فضل فتفاقمت الحالة وعظمت النكبة واستهدف المسيحيون في هاتيك الاصقاع لاخطار شديدة واقترفت فيهم الفظائع والمنكرات ودمرت قراهم ونهبت بيوتهم وسلبت اموالهم ورملت نساؤهم ويتم اطفالهم فكانت نكبة شديدة لم تشهد البلاد نكبة اشد منها هولاً بعد مذابح سنة ١٨٦٠ الشهيرة

تأثير الدسائس في جبل الدروز

اما في حوران وجبل الدروز فمع ان الثورة المسلحة لم تكن بعد قد امتدت اليهما ومنت العباد هناك باوزارها وبلاياها فان الثورة الفكرية كانت قد تملكتها وبدت في جوها سحب كثيفة قاتمة تنذر بهبوب العاصفة . ولا غرو فرائحة الدماء تسكر ودخان البارود يعمي الابصار والبصائر ودوي المدافع يصم الآذان عن سماع صوت الحق ونداء الانسانية ويثير كوامن القلوب وحفائظ النفوس . والرائحة المنبعثة من الدماء التي اريقت في الجنوب عبقت في سماء البلاد وضربت سرادقاً فوقها فنفذت من منافس القوم الى نفوسهم الثائرة فزادت ثورتها شدة وحملت العاصفة اليهم من دخان النيران التي شبت في جوانبها ما ضرب على عيونهم غشاوة كثيفة حجبت نور الهدى عن ابصارهم وافسدت عليهم امورهم فانطلقوا في طريقهم على غير هدى يخبطون خبط عشواء في الليلة الظلماء . اولئك هم الذين استهوتهم الاضاليل فاضلتهم وغالبتهم الاباطيل فغلبتهم واستضعفهم شيطان الغرور فاغرهم وبهر ابصارهم سراب الفوز الكاذب فأخذوا ببريقه وخدعوا بلمعانه ولعبت بهم يد السياسة — والسياسة غدارة لا قلب لها ولا يركن اليها — فعبثت بالبقية الصالحة من تقاليدهم الموروثة وخلفتهم عرضة لاهوائها وهدفاً لاغراض فئة ضالة من اعوان الشر وارباب الفساد اولئك هم العامة ومن انطلت عليهم حيل السياسة ووقعوا في حبائلها من الخاصة وهم في الغالب السواد الاعظم من القوم وبعبارة اصح هم ركن البلاد وعماد ثروتها ومصدر قوتها وجرثومة حياتها فبهم تشقى وبهم تسعد وتبقى وعليهم معولها واعتمادها واليهم مرجعها واستنادها

انشقاق الزعماء في جبل الدروز

ومن بواعث الاسف ان الزعماء في حوران وجبل الدروز كانوا منقسمين متنابذين وعقارب النميمة تسعى بين اقدامهم وتدب في جوانب دورهم ومضاربهم وارباب الدسائس والمفاسد يغدون ويروحون ولا همّ لهم الا توسيع شقة الخلاف بينهم قضاء لمآربهم واغراضهم . وكأن ما كان من هذا الانقسام غير كاف لتقهقر البلاد وشقاء العباد وتسلط الاجنبي على القوم واستئثار الغريب بمرافقهم وقبضه على زمام امورهم فابتليت بلادهم بما هو شر من الانقسام الداخلي الذي منيت به وعبرت على مضضه واستطاعت ان تتقي كثيراً من شروره وعواقبه حيث دهمتها الدسائس الخارجية ونعني بها دسائس البولشفيك والذين توسلوا بدعوتهم من الترك والالمان لقضاء اوطارهم من هذه البلاد التي شهدوا من ذل الانكسار في ارضها ما ملأ قلوبهم غلا وحقداً على سكانها وحدا بهم الى الانتقام منهم. ولئن كان الامير جميل بن الشريف ناصر شقيق الملك حسين ـ وهو يومئذ حاكم حوران ـ لم يتنبه لسلامة نيته الى هذه الدسائس البولشفية والى ما نصب من المكائد وبذل من الجهود والمساعي من وراء الستار لاضرام نار الفتنة في البلاد وتركها عرضة لارزاء الحرب وويلاتها وهدفا لاهواء السياسة وآفاتها فان « الطبيب » الحكيم البصير بعواقب الامور كان عنده الخبر اليقين عنها . . . وكان يعلم حق العلم ان البرنامج الذي وضع لاعمال رسل البلاشفة واعوانهم لم يكن مقتصراً على دمشق وبيروت وحلب وغيرها من المدن السورية بل كان يتناول سائر الديار الشامية واللبنانية وفي جملتها حوران وجبل الدروز وان الدعوة التي اذيعت في جنوب سورية اعدت معداتها في دمشق واثمرت على يده وايدي اعوانه وانصاره واصدقائه من الدمشقيين وسواهم .

المعتدلون والمتطرفون

بيد ان الذين استهوت افئدتهم من اهل البلاد الوعود المغرية والاحلام الذهبية غلبت البلهم المظاهر الخادعة فاندفعوا بتأثيرها الى الامام مع التيار الجارف لم

يكونوا يمثلون الاكثرية المطلقة وظل الذين لم يأخذهم الغرور ولم يخدعوا بوعود الدساسين وعهودهم وحدة قوية عزيزة الجانب سامية المقام تعمل بهدوء وسكينة لخير البلاد وسعادتها ورفاهية سكانها وكان لها شأنها في توطيد الامن وتسكين الخواطر في كثير من الانحاء التي لم تكتو بنار الحرب وظلت في معزل عن الفتن والاضطرابات. فكان اهل البلاد والحالة هذه فريقين : فريق الوطنيين المتطرفين وفريق الوطنيين المعتدلين . اما المتطرفون فان ما كان قبل الحرب الكونية بين الدولة العثمانية والبلاد السورية من الصلات السياسية والدينية والاجتماعية انساهم بعد ان وضعت الحرب اوزارها ما حل في اثنائها من البلايا والارزاء بمواطنيهم السوريين واللبنانيين على اختلاف مذاهبهم الدينية ونزعاتهم السياسية وجاء الانقلاب التركي الحديث من جهة اخرى مثيراً لغيرتهم بما تجلى فيه من مظاهر الاستقلال على اختلاف وجوهه وانواعه سياسية كانت او اقتصادية او قومية فهاجت كوامن نفوسهم على الدولة المنتدبة ولاسيما بعد ان ظهرت بوادر السياسة الاستعمارية في اعمال طائفة من رجال الانتداب في ديارهم وتذرع بها اصحاب المطامع ورواد المصلحة الشخصية من مروجي الافكار الرجعية ومأجوري السياسة الدولية لتسويد صحيفة هذه الدولة في عين العالم المتمدن واظهارها لاهل البلاد بمظهر دولة فقيرة عاجزة استأسرتها شهوة المال ونخر لبها سوس الفساد وانما جاءت الى البلاد السورية مستعمرة وقد غلب عليها روح الاثرة واتجهت افكارها الى الحجر على الحرية الشخصية عقلا للالسنة وتقييداً للافكار وغلا للايدي وتكسيراً للاقلام وانتهجت سياسة طائفية ترمي بها الى تأييد طائفة معينة من طوائف البلاد وشد ازرها تمكيناً لها من الاستئثار بالسيادة والنفوذ وحبًا في قتل العصبية القومية والعبث بالنزعة الوطنية والوحدة الجنسية وملاشاة الجامعة العنصرية والقضاء على لغة بني قحطان والناطقين بها من حفظة القرآن . فآثر اولئك المتطرفون والحالة هذه ان يعارضوا في الانتداب ويلقوا العقبات في طريق الدولة المنتدبة ويرفعوا راية الثورة في وجهها ولو افضى بهم الامر الى الوقوع تحت نير الترك بعد ان

تحرروا منه اعتقاداً منهم انه خير لهم ان يستهدفوا لاستبداد الترك او العرب فيهم وتحكمهم في رقابهم وهم شرقيون نظيرهم وتربطهم بهم تقاليد موروثة وصلات تاريخية ودينية وثيقة من ان يحرزوا استقلالهم وحريتهم على يد دولة اوربية تسيطر عليهم وتتولى ارشادهم وتدريبهم على الحكم الذاتي على غير ارادتهم في حين انه لا صلة لهم بها ولا جامعة تجمعهم اليها غير الجامعة السياسية التي فرضت عليهم فرضاً بقضاء لا مرد لاحكامه في زعمهم الا بالثورة المسلحة . وهو الامر الذي اقدموا عليه متخذين لتحقيق الغرض منه وسائل شتى يلوح لهم انها مثمرة فعالة ولكنها في الواقع وسائل عقيمة لا تروي غليلا ولا تشفي عليلا

واما الوطنيون المعتدلون فهم اولئك الذين ما برحوا يذكرون مساوىء الحكم التركي ولا تزال الفظائع والمنكرات التي اقترفها غلاة الترك ومتطرفوهم من دعاة الجامعة الطورانية ماثلة امام عيونهم وذكراها عالقة باذهانهم وراسخة في نفوسهم وان هم تناسوها وتغافلوا عنها وتجاهلوا عواقبها ومضارها فان الارواح البريئة التي ازهقت في اثناء الحرب والدماء الزكية الطاهرة التي اهرقت فيها بيد السفاحين والعظام الرميمة المزرية الى اليوم في الوديان والجبال والقبور التي تضم رفات العشرات بل المئات من شهداء الوطن ـ كل ذلك يذكرهم بالعهد الذي يتمنى الوطنيون المتطرفون عودته ويأسفون متلهفين على انقضائه . اولئك المعتدلون قطعوا كل صلة لهم بالقديم البالي ولا يريدون ان يذكروا من ذلك العهد المشئوم الحافل بالفتن والحروب المصبوغ بالدماء المقرون بالتذكارات المؤلمة والخيالات المخيفة الا العبر التي استخرجوها منه والعظات التي اقتبسوها من حوادثه معرضين عما استأسر نفوس المتطرفين وتملك قلوبهم وهاج عواطفهم وحفائظ افئدتهم من العوامل والاعتبارات التي اشرنا اليها في ما تقدم غير ناظرين الا الى الواقع الملموس الذي لا سبيل الى انكاره وهو ان تركيا لم تتحرر من النير الاجنبي وبلاد العرب لم تنج من سيطرة اوربا فلا هذه ولا تلك استطاعت ان تحرز الاستقلال الاقتصادي الذي يوصلها الى الاستقلال السياسي الحقيقي ويهيء لها وسائل الخلاص من السيطرة الاجنبية ويحول

دون استهدافها لمطامع الدول الاستعمارية . يقول اولئك المعتدلون ذلك ويشفعونه بقولهم ان الانتداب لا بد منه ولا غنى للبلاد السورية عنه لانه قد يفضي الى تعزيز نهضتها الادبية وترقية مرافقها وانماء ثروتها ومضاعفة موارد الرزق فيها فينمو شعبها ويزداد عدد سكانها بمن يعود اليها من المهاجرين الذين يعدون بمئات الالوف وبينهم مئات بل آلاف من الموسرين فيستثمرون اموالهم في اعمال ومشروعات تدر اخلاف الخير على البلاد وسكانها وانه ما دامت عصبة الامم تشرف على اعمال الدولة المنتدبة وتسهر على مصالح البلدان المشمولة بانتدابها فلا سبيل الى الاشفاق ان تنهج هذه الدولة نهجاً مناقضاً لمصلحة البلاد السورية . وان لهذه البلاد من رعاية جمعية الامم لمصلحتها واشرافها على تطبيق الانتداب ما يضمن لها الى حد ما استقلالها السياسي التام بعد انقضاء اجل الانتداب . وانه خير لهذه البلاد ان تتقدم وترتقي تدريجاً على يد الدولة المنتدبة وتحت رعاية جمعية الامم بغير ان يخامرها خوف من غارة عليها ومن غير ان تستهدف لمنازعات دينية ومطامع سياسية تؤدي بها الى فتن وقلاقل في الداخل وحروب وغارات تشن عليها من الخارج من ان تحرز استقلالها الآن وهي معرضة لمطامع الفاتحين والغزاة من الترك والعرب وليس لها من مصادر الثروة ووسائل التقدم واسباب النهوض ما يمكنها من صيانة هذا الاستقلال والاحتفاظ بوحدتها القومية وسيادتها الوطنية وتبوء مركزها بين البلدان الراقية والامم الحية . وهذا ما كان اولئك الوطنيون ولا يزالون يعملون له ناهجين في سعيهم اليه نهجاً قويماً سائرين على هدى آمنين شر العثرات والعقبات وهم بلا شك بالغون بعون الله الى غايتهم القصوى وضالتهم المنشودة

سياسة الجنرال غورو وتفاقم الحالة

تلك كانت حالة البلاد واحزابها وموقف الدولة المنتدبة بازائها لما وصل الجنرال غورو الى بيروت في شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ . فكان عليه ان يعالج سلسلة متصلة الحلقات من المسائل المعقدة والمشكلات المعضلة التي تحار الافهام في ادراك كنهها واستيعاب ملابساتها وتعجز المدارك دون استظهارها واستيضاحها وحل عقدها

ورموزها ويشكل امرها وتستعصي معالجتها العلاج الوافي الناجع على اطول الرجال اناة واوسعهم صدراً واعظمهم حلما واشدهم صبراً على المكاره وارجحهم عقلا واكثرهم حنكة ودهاء

ونحن في غنى عن القول ان حوادث الشمال كانت في نظر الدولة المنتدبة ابعد مدى واعظم اهمية من حوادث الجنوب لان هذه وقعت في بقاع متاخمة لفلسطين وشرقي الاردن وكلاهما تحت اشراف دولة موالية للدولة المنتدبة فلا يخشى ان تفضي الى مشكلات سياسية تحرج موقفها تجاه هذه الدولة او يتعذر حلها على وجه يتفق مع القواعد التي قامت عليها الاتفاقات المعقودة بينهما . وتلك وقعت على حدود بلاد تعد في حكم الخصم الذي لا يؤمن جانبه . ولاغرو فتركيا ما فتئت منذ استقر قرار الحلفاء على ضم قيليقية الى البلدان المشمولة بالانتداب الفرنسوي تسعى لاسترجاع هذا الاقليم وبسط سيطرتها عليه وعلى البقاع المتاخمة له من سورية الشمالية وفي جملتها الاسكندرونه وعنتاب وغيرهما فكانت العصابات التركية تمرح وتسرح في هاتيك الاصقاع غادية رائحة منصرفة الى النهب والسلب والمذابح وانتهاك الاعراض بلا وازع ولا رادع ولا سائل ولا مسئول حتى اعيا امرها الدولة المنتدبة وكلت وملت وسئمت الانفاق على الاعمال الحربية وحشد الجيوش وقمع الفتن الداخلية واحباط الدسائس الرجعية وافضى بها الامر الى الجلاء عن قيليقية والتخلي عنها لحكومة مصطفى كمال وفصل الاسكندرونه وملحقاتها عن دولة سورية وسن نظام خاص لها يخول حكومتها المركزية استقلالا داخلياً واسع النطاق ويجعل للترك فيها شأناً خاصاً ومركزاً سياسياً خطيراً من اظهر مميزاته الاعتراف باللغة التركية فيها لغة رسمية اسوة لها باللغتين الفرنسوية والعربية

بعد ان استقر الامن في قراره على الحدود التركية وامن الناس شر العصابات في هاتيك الانحاء انصرف الجنرال غورو الى قمع فتنة الجنوب وكانت قد تفاقمت واتسع نطاقها واندلعت السنتها الى اطراف الاقاليم الجنوبية حيث نشطت العناصر المعادية للدولة المنتدبة في شرق الاردن وفلسطين لتأييدها وتلقيمها من المواد القابلة

للالتهاب ما زاد نارها اضطراماً وزاد ويلاتها شدة ونكباتها ضرراً وايلاماً فلم يطل به الزمن حتى اخمد نارها واطفأ جذوتها بفضل التدابير الشديدة الحازمة التي اتخذها والقوات العسكرية التي حشدها في الانحاء الثائرة . وفي تلك الايام العصيبة كنا في لبنان نرقب الحوادث عن كثب ونحن نذكر ان العصابات الشريفية اقترفت وقتئذ من الفظائع والمنكرات ما يندى له جبين الانسانية خجلا على ان بطل شمبانيا احل بها من العقاب ما ذهب مثلا فمزقها ومثل بها وانزل بها العبر وكان للذين اكتووا بنارها وتناولتهم فظائعها من المسيحيين والدروز يد طولى في تأديبها والانتقام منها للذين ذهبوا ضحية اعمالها الوحشية وكان سكان راشيا في طليعة هؤلاء فاجتمع منهم اربعمئة شاب تقلدوا السلاح وانطلقوا يقاومونها ويفتكون برجالها واشتبكوا معها في معارك شديدة حامية ولا سيما قبيل واقعة ميسلون حيث انحاز دروز راشيا الى جانب المسيحيين فيها واتحدوا معهم على مقاومة العصابات التي كانت تعيث فساداً في قضائهم وكان عدد رجالها لا يقل عن نحو خمسمئة مقاتل شاكي السلاح ففتكوا بعدد كبير منهم واسروا القسم الآخر وسلموهم الى الجيش الفرنسوي مع اربعة مدافع رشاشة غنموها منهم . وقابلت الدولة المنتدبة هذا العمل من جانب الراشيين بالعطف عليهم ومكافأة زعمائهم فانعمت على علي آغا العريان زعيم دروز راشيا بوسام الزراعة وعينت الشيخ سليمان زاكي قاضياً للشرع على المسلمين والدروز على رغم احتجاج المسلمين واستحصل فارس غنطوس احد اعيان المسيحيين هناك على امر من الجنرال غورو بالعفو العام عن الدروز الذين انتصروا لحكومة الامير فيصل وشدوا ازر العصابات الشريفية وخفض ولاة الامور الاعشار في قضائهم من ١٢ ونصف الى ٤ في المئة فوقع كل ذلك من نفوسهم موقعاً حسناً وشعروا بحسنات الانتداب ومنافعه وبالفوائد التي ينتظر ان يجنوها من الانفصال عن حكومة دمشق والانضمام الى لبنان فجهروا بارتياحهم الى هذا الامر وتم لهم ما ارادوا

الفتن في الشمال

بيد ان السكون المصطنع الذي خيم على اقاليم سورية الشمالية لم يكن الا سكونا

وقتياً قصير الاجل فلم يكد الجنرال غورو ينصرف بجيشه عنها ويتفرغ لقمع فتن الجنوب حتى نشط اعوان الدعوة العربية للعمل اثارة للخواطر واقلاقا للافكار ووجدوا في هاتيك البقاع مرتعاً خصباً وتربة صالحة لبذر بذور الفتنة ولا سيما ان رسل الدعوة التركية ومروجيها من سكان البلاد انفسهم لم ينفكوا عن دس الدسائس ونصب المكائد في مختلف انحائها للدولة المنتدبة والموالين لها من الوطنيين ولاحت الفرصة السانحة لرسل البولشفيك واعوانهم فانتهزوها وانبروا للكفاح والنضال وهم على ثقة بالنجاح لان الترك كانوا يطمعون باكثر مما احرزوه من اراضي سورية الشمالية ومن الامتيازات السياسية والاقتصادية في الاسكندرونه وملحقاتها وغرضهم هذا يدرك بمثل ما يتوسل به البلاشفة لادراك اغراضهم فاغراض الفريقين متباينة ولكن الوسائل واحدة .

فكان من البديهي والحالة هذه ان تذكر العصابات سابق عهدها وتعود الى العبث بالامن في هاتيك الاصقاع فكانت فتنة في جبال النصيرية امتد لهيبها الى اطراف بلاد العلويين وتناولت انطاكية واللاذقية وبانياس وغيرها من المدن والقرى في سورية الشمالية . وكانت فتنة اخرى في جبل عامل في الجنوب وكانت ثورة في حوران وكانت فتن وقلاقل في انحاء اخرى شمالا وشرقا وجنوباً . ولكن الجيش الفرنسوي كان لا يزال معظمه مرابطا في سورية ولبنان فزحف على البلدان الثائرة ودوخها ومزق عصابات الثوار وبددها وانزل العقاب الصارم بعدد من المدن والقرى التي شقت عصا الطاعة فدمرت قنابل الطيارات والمدافع جانباً منها والتهمت النيران جانباً آخر من دورها ومنازلها وفي مقدمتها انطاكية والقصير وقرية الحمام ومدينتا بابنا والحفه في قضاء صهيون من اعمال اللاذقية ومدينة بانياس وقرى الشيخ بدر والحطانية والبهلالية والصليب والبرج من اعمال اللاذقية . وقرية هونين وعونين من اعمال جبل عامل وقد ضربت عليه غرامة قدرها مئة الف ليرة ذهب . وعدة قرى في حوران وقد فرضت عليها غرامة قدرها ٥٠ الف ليرة ذهب .

اعمال السلطة العسكرية

ولما استقر الامن في قراره وعادت الامور الى مجراها المعتاد رأى الجنرال غورو بعد ان استتب له الامر ان يشرع في تطبيق الانتداب . ولكنه رأى من جهة اخرى ان السلطة العسكرية كانت لا تزال شديدة الوطأة على البلاد فعالجها محاولا تخفيف وطأتها تمهيداً لاستخدام العنصر الوطني في الاعمال الادارية ولكنه اخفق حيث كان يرجو ان ينجح وظل الروح العسكري متغلباً في دوائر الحكومة اللبنانية ورجال الجندية الفرنسويون قابضون في لبنان على ازمة الحكم يسيرون الامور طبق مشيئتهم ووفقاً للتعاليم التي كانوا قد تلقنوها في مختلف المستعمرات الفرنسوية في افريقية والشرق الاقصى . ومن سوء الحظ ان الحزب العسكري في فرنسا كان لا يزال مسيطراً على سائر شئون الدولة جليلها وحقيرها ورجال الحرب فيها يرنون بابصارهم الى البلدان المشمولة بالانتداب الفرنسوي معللين النفس بان يجدوا فيها ما يصح التوسل به لمكافأة الضباط والجنود الذين ابلوا في الحرب العظمى بلاء حسناً كان له اثره الكبير في فوز الحلفاء وانقاذ العالم من شر الامبريالزم الجرماني . غير ان نظريتهم هذه لم تكن مما يصلح ان يؤخذ به في مثل الموقف الحرج الذي كان لفرنسا في تلك البلدان حيث كانت مبادىء ولسن فعلت فعلها ورسخت في نفوس الناس ولا سيما ما كان ذا صلة منها بمبدأ تقرير المصير . ومع ان الجنرال غورو كان مشبعاً بروح التسامح ومتصفاً بالمرونة المقرونة بالحزم والفطنة وله من الخبرة الواسعة التي احرزها في المغرب الاقصى حيث لا تزال اعماله المجيدة ماثلة للاذهان ما بعثه على انتهاج خطة شديدة في معاملة رجال الجندية عاملا على التوفيق بين نزعات نفوسهم ومرمى آمالهم وبين روح الانتداب ومبادئه — لم يستطع مع ذلك كله ان يخفف من سيطرة هولاء الرجال على شئون البلاد او يلطف ظل سلطانهم على اهلها او يحجب عن العيون شيئاً من مظاهر الاثرة التي تجلت في اعمال فريق منهم

وبعثت اللبنانيين على التبرم والشكوى في السر والجهر مفرغين شكواهم في قالب العتاب على حد قول الشاعر :

اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

وهذا ما فتح امام خصوم الانتداب واعداء الدولة المنتدبة باب الطعن والانتقاد على مصراعيه واتاح لكتابهم في مصر واميركا وغيرهما ان يجردوا عليها حملة قلمية شعواء ويلصقوا بها التهم الشائنة ويعزوا اليها حب الفتح والاستعمار ويرموها بكل نقيصة تشويهاً لسمعتها وتسويداً لصحيفتها في عيون العالم المتمدن

وقد تجلى استياء اللبنانيين من اعمال رجال الانتداب في القرار الذي اصدره مجلس ادارة لبنان على اثر وصول الجنرال غورو الى بيروت وانتقد فيه نظام الادارة الذي كان معمولا به يومئذ تحت اشراف السلطة العسكرية وهو نظام غل يد المجلس وحط من قدر الحكومة الوطنية في عيون اللبنانيين وغيرهم واضعف سلطتها وجعل اسمها وهيبتها مضغة في الافواه

المناداة بالملك فيصل

هذا في لبنان واما في سورية فان الامير فيصل رأى من مجاملة الدولة المنتدبة له ما حمله على التمادي في غيه والمضي في سبيله غير مكترث للعهد الذي قطعه لها وهو في باريس بتأييد انتدابها والايعاز الى الحكومة الوطنية بالاعتراف به تاركا لاعوانه ومريديه من المسئولين عن مستقبل البلاد ان يتصرفوا في الشئون العامة على المنوال الذي بسطناه في ما تقدم واثار الحركة الخطيرة التي افضت الى ما افضت اليه من الفتن والثورات

وبلغ من ازدراء اعوانه بمقام الدولة المنتدبة واحتقارهم لشأنها ان نادوا به ملكا على سورية في شهر مارس سنة ١٩٢٠ من غير ان يؤخذ رأي هذه الدولة في ذلك وتوافق عليه دول الحلفاء فكانت هذه الجرأة من جانبه وجانب اعوانه باعثاً على الحط من هيبة فرنسا في عيون السوريين واللبنانيين وعدت دليلا على ضعفها وعجزها

عن الاحتفاظ بمقامها كدولة منتدبة تسيطر على الجليل والحقير من شئون البلاد وامورها . فزاد خصوم الانتداب نشاطا في اثارة الخواطر ضدها وهو ما كان له اثره في لبنان ذاته حيث كان الاستياء من الادارة العسكرية بلغ اشده فتوسل الحزب الوطني في دمشق بذلك لاستمالة سبعة من اعضاء مجلس الادارة اللبناني الى جانبه .

حل مجلس ادارة لبنان

وفي ١٠ يوليو سنة ١٩٢٠ اصدر هؤلاء الاعضاء بالاتفاق مع الحزب الوطني في دمشق قراراً بالمطالب الآتية :

« ١ — استقلال لبنان التام وحياده السياسي — ٢ ـ اعادة المسلوخ منه سابقاً بموجب اتفاق يعقد بينه وبين حكومة سورية — ٣ — تدرس المسائل الاقتصادية وتقرر بواسطة لجنة مؤلفة من الفريقين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلسي لبنان وسورية — ٤ — يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للموافقة على هذه البنود وضمان احكامها — ٥ — ولاجل السعي الناجع في المراجع الايجابية لتقرير هذه البنود قررت اكثرية المجلس الموقعة لهذه المضبطة الانتقال والتوجه بالذات الى الامكنة اللازمة (الى اوربا) لاجل ابلاغ هذا القرار برمته الى المقامات الرسمية »

وعلى أثر ذلك تهيأ هؤلاء الاعضاء السبعة للسفر وشدوا الرحال الى دمشق ليرحلوا منها الى اوربا مصحوبين بمندوبي الملك فيصل تنفيذاً لقرارهم هذا . وكانت عيون السلطة العسكرية ترقبهم عن كثب فالقت القبض عليهم في الطريق قبل . ان يصلوا الى حاضرة سورية وهم يحملون مبلغاً كبيراً من المال وصل الى ايديهم بواسطة « النعماني » المالي المعروف . وحكم عليهم وعليه بالنفي بتهمة الخيانة العظمى وابعدوا الى فرنسا . واصدر المندوب السامي الفرنسوي امراً بحل مجلس ادارة لبنان واستبداله بمجلس جديد اطلق عليه اسم « اللجنة الادارية » وعين هو اعضاءه .

ومع ان اللبنانيين كانوا ساخطين على السلطة العسكرية لتحكمها في امور البلاد واستئثارها بالسلطان فيها فقد قابلوا عملها هذا بالرضا والارتياح وعدوا قرار نوابهم

السبعة خروجاً منهم عن دائرة اختصاصهم وافتئاتاً صريحاً على حقوق البلاد ونقضاً للعهد الذي قطعوه لها يوم انتخابها لهم برعاية مصالحها والسهر على حقوقها والاذعان لمشيئتها . والواقع هو ان نفور اللبنانيين عن بكرة ابيهم من كل فكرة ترمي الى الاتفاق السياسي مع حكومة سورية من الامور البديهية التي لا نزاع فيها وهو نفور قديم موروث يرتقي الى ازمنة عريقة ويعود الى اسباب وجيهة خطيرة وعوامل بارزة ذات اهمية خاصة ليس هذا مقام بيانها لاعتبارات كثيرة

بيد ان الحادث جاء دليلا محسوساً على تمخض النفوس بالسخط على عمال الانتداب والاستياء من اغفال المسئولين من رجال الدولة المنتدبة عن الشئون العامة لامر هؤلاء العمال واغضائهم عن اعمالهم وتركهم يتحكمون بامور البلاد والعباد ويتصرفون فيها على هواهم والبلاد تئن وتشكو والصحف تردد انينها وشكواها والجمعيات اللبنانية في الخارج تجاهر بالاحتجاج وتنادي بطلب الاصلاح وتنذر بالويل والثبور وعظائم الامور . ولولا كل ذلك لضاق المجال في لبنان لدسائس دمشق ولاوصدت الابواب فيه امام الدعوة الشريفية وصم الاعضاء المشار اليهم آنفاً آذانهم دونها واغفلوا شأنها . ولكن قدر فكان .

على ان ما اصاب النواب اللبنانيين من الفشل وخيبة الامل لم يفت في ساعد منشئي الحركة في دمشق ولم يكن ليوهن عزائمهم ويخفف من غلوائهم ومطامعهم فانطلقوا في سبيلهم ساعين الى مناوئة الدولة المنتدبة باساليب جديدة ومناورات خفية كانوا قد حذقوها في عهد الاتراك وكادت حيلهم تنطلي على المندوب السامي ورجال حاشيته . ونحن نذكر ان احد قادة جيش الشرق — وهو يومئذ من الاخصاء المقربين الى الجنرال غورو — سألنا رأينا في حقيقة الغرض الذي كانت ترمي اليه مناورات الحزب العربي في دمشق وهل ينتظر ان يبر الملك فيصل بوعوده او ان استسلامه الى هذا الحزب ومجاراته له على سياسته يفضيان به الى الاخلاف بالعهد الذي قطعه لرجال الحكومة وهو في باريس بان يعترف بالانتداب الفرنسوي لسورية . وهو

سؤال يدل على ان رجال الانتداب في سورية ولبنان اخطأوا المرمى وضلوا السبيل وكانوا في غفلة عما كان يدس لفرنسا في البلاد المشمولة بانتدابها من الدسائس افساداً لعملها واحباطا لخطتها وآمالها

بعد سقوط الملك فيصل

ان استمرار الحزب العربي في دمشق على مناوئة الفرنسويين وعرقلة مساعيهم احرج موقف الملك فيصل امامهم ولا سيما انه تظاهر في مجاراته على خطته غير حاسب للعواقب حساباً . وكان الحادث الاخير الذي افضى الى حل مجلس ادارة لبنان قد نبه افكار الجنرال غورو وفتح عينيه لرؤية الحقيقة وبعثه على بث العيون لرصد حركات الملك ورجاله ورقابة اعمال اعوانه الذين تقع عليهم تبعة الدسائس والوقائع . واذ لم يبق في قوس الصبر منزع اعد الجيش للزحف على دمشق لاول اشارة وبعث يسأل الحكومة السورية الاعتراف بالانتداب الفرنسوي وتنفيذ مطالب معينة كان قد سبق فاشار عليها بتلبيتها وماطلت فيها وفي غيرها من الامور التي كانت تحسب المطاولة فيها من حسن التدبير واصالة الرأي ومن خير الوسائل للتخلص من سيطرة الدولة المنتدبة عليها وضرب لها موعداً للاجابة في خلال ٤٨ ساعة وانقضى الاجل المضروب قبل ان يتلقى الجواب فزحف الجيش الفرنسوي على دمشق بقيادة الجنرال كاربيه في ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٠ وخرج جيش الملك فيصل والدمشقيون للقائه في ميسلون على بعد عشرين كيلو متراً من المدينة فنشب القتال وانجلت المعركة عن اندحار قوات دمشق بعد ان مزقها الجيش الفرنسوي وكبدها خسائر فادحة ورفعت الحكومة الوطنية راية التسليم فكف الجنرال كاربيه عن القتال وبعث يطلب من الملك فيصل الخروج من دمشق فلبى اشارته وتبعه رجال حاشيته واعوانه الى حوران . وفي اليوم التالي دخل الجيش الى المدينة وفرض الجنرال غورو عليها غرامة مالية قدرها مئة الف ليرة ذهب .

اعلان استقلال لبنان

بعد ان قضى الجنرال غورو على دولة الملك فيصل انشأ في دمشق حكومة وطنية جديدة . والتفت الى لبنان فرآه دامي الفؤاد منكسر الخاطر عاتباً على الدولة المنتدبة لانها تجاهلت امره واغفلت مصلحته في حين كان يورد لها البرهان بعد البرهان والدليل بعد الدليل على انه اشد البلدان المشمولة بانتدابها اخلاصاً لها وعطفاً عليها وآخر هذه الادلة والبراهين مواقفه الاخيرة بازاء واقعة ميسلون وما سبقها من حوادث الجنوب ودسائس دمشق التي افضت الى خلع الملك فيصل . ورأى الجنرال من جهة اخرى انه على حق في مطالبه وشكواه وان توسيع حدوده والاعتراف له بالاستقلال مما لا يناقض مصلحة فرنسا بل ان ذلك في مصلحتها خلافاً لما كان قائماً في نفسه ونفوس فريق من رجالها في باريس وهو ان الاحجام عن تحقيق مطالبه واجابة رغائبه خير ما يستطاع التوسل به الى استمالة السوريين والعرب واحراز مودتهم وعطفهم وان تعزيزه ورد حقوقه اليه يغضبانهم ويثيران حفائظهم على فرنسا وهذا لا يتفق مع مصلحتها وهي احرص على هذه المصلحة من ان تجازف بها لقاء ارضاء عنصر نظير العنصر اللبناني لا يعد شيئاً مذكوراً بجنب العنصر السوري . وقد ادرك حقيقة موقف سورية تجاه دولته في معركة ميسلون وما سبقها من الحوادث وعرف هو والذين خبروا احوال هذه البلاد ودرسوا اخلاق سكانها من رجال باريس ان الاكثرية لا تركن الى الدولة المنتدبة ولا تنحاز الى جانبها سواء خذلت لبنان او حققت مطالبه وامانيه ولا ينتظر ان تعدل عن خطتها وتنكب عن طريقها بين عشية وضحاها لاعتبارات تجلت باتم مظاهرها في الاستفتاء العام الذي جرى قبل مؤتمر سان ريمو واشرنا اليه في ما تقدم

ان العبرة التي اتيح للجنرال غورو ان يستخرجها من الحوادث المتتابعة التي استعرضها منذ وصوله الى سورية بعثته على العدول عن رأيه والتصميم على انتهاج سياسة جديدة تلتئم مع التقاليد الفرنسوية في الشرق . وبعد ان اتفق مع

وزارة الخارجية على قواعد هذه السياسة واهمها تعزيز مقام لبنان على وجه يتفق مع هذه التقاليد شرع في تطبيقها . وفي اول سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٢٠ اعلن استقلال لبنان وتوسيع حدوده في حفلة عظيمة شائقة شهدها عدد كبير من الرؤساء الروحيين وكبراء البلاد واعيانها واصحاب الوجاهة والفضل فيها . وكنا في جملة المدعوين اليها فاسعدنا الحظ بان نستجلي محاسنها ونشاطر مواطنينا الاعزاء اغتباطهم بما تجلى فيها من عطف فرنسا التقليدي على لبنان وارتياحهم الى ما تحقق من امانيهم الوطنية ومطالبهم المشروعة وان نتحقق بالخبر ما سمعناه بالخبر عن حرص الامة الفرنسوية الكريمة على تقاليدها التاريخية التي من اجلها سميت ام الحرية ومحررة الشعوب ونشعر شعوراً قلبياً عميقاً بتلك العاطفة الصحيحة الصادقة التي لا تختلج في الصدور الا لذكر ذلك الشيء الذي يسمونه « الوطن » ولا سيما متى كان ذلك الوطن كالوطن اللبناني الذي تغزل به داود النبي حيث قال : « فتى كالارز طلعته كلبنان » وضرب به المثل حيث قيل : « هنيئاً لمن له مرقد عنزه في لبنان » . ولاغرو فالوطن ظل الله على الارض بل هو هيكل الله والا لما قيل فيه « حب الوطن من الايمان » .

وعلى اثر هذه الحفلة صدر مرسوم بتنظيم دولة لبنان الكبير فقسمت البلاد الى متصرفيات واقضية واعيد تنظيم دوائر الحكومة المركزية على قاعدة الوزارات المصغرة وعين لها مستشارون فرنسويون علاوة على الذين كانوا يشغلون الوظائف الفنية والتي لها صلة بالامن العام من الضباط والاخصائيين وغيرهم . اما منصب الحاكم العام فعهد فيه الى القومندان ترابو وهو ضابط بحري كان في اثناء الحرب العظمى حاكماً لجزيرة ارواد فجاء تعيينه مخيباً لآمال اللبنانيين لاعتبارات شتى منها سوء ادارته وعدم كفاءته لتقلد زمام الحكم في بلاد نظير لبنان يشترط في حاكمها ان يكون نزيهاً عادلا حازماً بعيد النظر في الامور واقفاً على شئونها محيطاً بالجليل والحقير من احوالها خبيراً باخلاق سكانها واطوارهم ملماً بتاريخها وتقاليدها عارفاً لمواطن الضعف والخلل من نظام الحكم فيها ليتمكن من معالجتها بحذق ومهارة

مراعياً في ذلك تطورات السياسة وتقلبات الزمان وهو لسوء الحظ ما لم يكن شأن هذا الحاكم . وهذا علاوة على ان تعيينه وهو اجنبي عن لبنان جاء مخالفاً لمبادىء الانتداب وقواعده التي تقضي بان تكون دفة الحكم بيد الوطنيين تحت اشراف الدولة المنتدبة فضلا عن ان هذا التعيين لم ينطبق على رغائب اللبنانيين وامانيهم المبينة في المذكرة التي قدمها الوفد اللبناني الثاني برئاسة غبطة البطريرك الماروني الى مؤتمر الصلح في طلب الانتداب الفرنسوي . وهذا ما بعث اللبنانيين على العودة الى التذمر والشكوى ولا سيما ان استئثار هذا الحاكم بالسلطة من دون الموظفين الوطنيين وسوء تصريفه للامور افسحا المجال لتدخل المستشارين وغيرهم من الموظفين الفرنسويين في كل شأن من الشئون الكبيرة والصغيرة مما افضى الى غل ايدي الموظفين اللبنانيين سواء كانوا من حكام الاقاليم او رؤساء الدوائر فيها وفي العاصمة وتضاؤل سلطتهم تضاؤلا كان له اثره في ضعف هيبة الحكومة واضطراب حبل الامن وتذمر اللبنانيين واحتجاج مهاجريهم وجمعياتهم السياسية في مصر واوربا واميركا حتى اضطر الحاكم العام ان يستكتب موظفي الحكومة واذنابهم وصنائعهم على يد اعوانه ومريديه من رؤساء الدوائر وحكام الاقاليم عرائض تنطوي على اطراء اعماله والتغني بمآثره واثار فضله والاحتجاج على معارضة المهاجرين له وانتقاد جمعياتهم لمسلكه الشخصي والخطة التي انتهجها في تصريف الامور وادارة دفة الحكم

تطبيق الانتداب في سورية

هذا في لبنان واما في سورية فقد نهج الجنرال غورو نهجاً آخر في تطبيق الانتداب مراعياً الظروف المحيطة بموقف دولته فيها وذاكراً ما لقيه من المصاعب والمشاق والمشكلات في معالجة عواطف الاكثرية من سكانها خصوصاً انها كانت احرزت في عهد الملك فيصل وهو من سلالة نبي الاسلام نوعاً من الاستقلال عد في اعتبار المسئولين عن مستقبلها من الزعماء والكبراء رمزاً لمجد العرب وتوطئة لانشاء المملكة العربية الكبرى التي كانت تمني النفس بها . فكان عليه ان يحملها

على قبول الانتداب الفرنسوي من غير ان يتعرض لمس عواطف سكانها او يظهر بمظهر يستدل منه على انه يحاول القضاء على احلامها الذهبية وامانيها الوطنية . وقد نهض باعباء هذه المهمة بمهارة ودهاء يبعثان على الاعجاب . فراعى في عمله رغائب السكان من حيث تطبيق نظام اللامركزية السابق لعهد الحرب وقسم سورية الى دول صغيرة لكل منها استقلالها الداخلي التام فكان منها ثلاث دول : دولة دمشق ودولة حلب ودولة العلويين ثم انشأ لجبل الدروز في حوران حكومة مستقلة بنظام خاص وعين سليم باشا الاطرش اميراً عليها وهو كبير آل الاطرش وزعيم الدروز الاكبر وكذلك دولة دمشق ودولة حلب فعين لكل منهما حاكماً سورياً واما دولة العلويين فعين لها حاكماً عسكرياً من رجال الدولة المنتدبة لان الامن فيها لم يكن عاد بعد الى نصابه وعادت الامور الى مجراها المقرر المعتاد . واقتصر في تعيين المستشارين والموظفين الفرنسويين في دوائر الحكم على من لاغنى عنه منهم وجرى هولاء في اداء مهمتهم على اسلوب يختلف كل الاختلاف عن الاسلوب الذي اتبع في لبنان فلم يشعر الحكام الوطنيون بوطأتهم وكانوا يتابعون اعمالهم من غير ان يلاقي الموظفون الفرنسويون العقبات في سبيلهم فكان ظل الانتداب خفيفاً لطيفاً ليس فيه ما يبعث على التذمر والاحتجاج كما كان الحال في لبنان

وفي ٢٠ يونيو سنة ١٩٢١ وضع الجنرال غورو اساس الوحدة السورية في حفلة رسمية كبيرة اقيمت في دمشق وشهدها جمهور غفير من اعيان السوريين وكبرائهم والقى الجنرال خطبة بين فيها فوائد الاتحاد منوهاً بالاصلاحات التي ينوي ادخالها على انظمة الدول السورية التي اسسها ذاكراً انه راعى في انشائها وافراغها في القالب الذي افرغت فيه نزعات السكان ورغائبهم وتقاليدهم ناسجاً على المنوال الذي اتبع في انشاء الاتحاد السويسري المؤلف من مجموعة ولايات مستقلة مختلفة الالسنة والاديان . ثم تطرق الى ذكر وحدة سورية التي يجب ان تتناول تلك الدول بمقتضى نظام خاص وضعه لها وتأليف مجلس اتحاد على قاعدة التمثيل النسبي مستثنياً

لبنان من هذا الاتحاد الا من الوجهة الاقتصادية لان تقاليده الخصوصية تقضي بتركه يسعى وراء التقدم بمعزل عن الاتحاد السوري واعداً بتوسيع اختصاص هذا المجلس بعد ان يبرهن على الكفاءة المطلوبة . و بعد يومين اقيمت حفلة اخرى في حلب لهذا الغرض والقى هناك خطبة اعلن فيها انشاء الوحدة السورية على نحو ما فعل في دمشق و بذلك تم انشاء الاتحاد السوري

على ان رسل الدعوة العربية ومروجيها وطلاب الاستقلال المطلق من الوطنيين عدوا اعلان النظام الجديد خير ما يمكن ان يتاح لهم من الفرص السانحة لاثارة الرأي العام ضد الدولة المنتدبة فانبروا لبث الدعوة الى مقاطعتها ومناصبتها العداء مجاهرين بسخطهم عليها لاقدامها على انشاء الدول السورية بحجة ان ذلك يعد تجزئة للبلاد وقتلاً لها مستشهدين بفلسطين التي فصلت عنها بغير رضا سكانها . وتردد صدى شكاويهم في مجلسي النواب والشيوخ في فرنسا فانتصر لهم النواب الاشتراكيون طالبين الجلاء عن سورية .

واما لبنان فقد ناله اكبر نصيب من انتقادات القوم وحملاتهم لاعتبارات طائفية وسياسية لا متسع لذكرها . وعندهم ان استثناءه من الاتحاد السوري لا مبرّر له في اعتبار العالم العربي لاسباب اهمها ان سكانه يتفاهمون باللسان العربي وانه لا يختلف عن الاقاليم السورية في شيء مما يقضي بالفصل بين البلدان المتجاورة كاخلاق السكان وتقاليدهم ولغتهم ونحو ذلك . مع ان الذي ينظر الى حقيقة موقف لبنان بازاء الاقاليم السورية قاصيها ودانيها لا يلبث ان يتبينه وينعم النظر فيه حتى يدرك انه موقف خاص ممتاز من كل وجه . فاستقلال لبنان يرتقي الى اقدم الازمنة وكما قال غبطة بطريرك الموارنة في المذكرة التي قدمها الى مؤتمر الصلح فهو استقلال تام ازاء كل مملكة عربية تنشأ في سورية واللبنانيون كان لهم في كل عصر من عصور تاريخهم قومية تختلف بلغتها واخلاقها ورقيها الادبي الغربي عن قوميات الامم الاخرى المجاورة واذا كانت لغة العرب الفاتحين تسربت

الى لبنان بعد اربعة قرون لذلك الفتح فان مناطق كثيرة من هذه البلاد احتفظت الى اليوم بلهجة ولغة مخصوصتين من شأنهما ان تفقدا اللغة العربية في هذه المناطق قوة الصبغة القومية . وحسبنا ان ننظر الى ما هو واقع في اميركا الشمالية واميركا الجنوبية و بلجيكا الفالونية والنمسا الالمانية لنعيد القوميات التي يؤسسها البعض على وحدة اللغة الى دائرة قيمتها الحقيقية . وهذا علاوة على الاعتبارات التاريخية والسياسيةوالادبيةالتي تؤيد هذا الاستقلال وتدعمه وتجعل لشدة تمسك اللبنانيين به شأناً خاصاً عند الدولة المنتدبة والدول المحالفة لها .

ونحن في غنى عن القول ان ادماج لبنان في الاتحاد السوري مفضٍ عاجلا او آجلاً الى احلال سيادة دمشق فيه محل سيادة الاستانة ومن المحال ان تتركه الاكثرية بعد انتظامه في سلك الدول السورية على الحالة التي الفها منذ قديم الدهر او تدع الاكثرية فيه تستمر على التمتع بما تتمتع به اليوم من الحقوق الطبيعية والمكانة التاريخية الممتازة وهو ما يؤدي الى النزاع ويجر الى مشكلات معقدة يحرج موقف البلاد وموقف الدولة المنتدبة معاً .

هذا من جهة ومن جهة اخرى ان استقلال لبنان عن الدول السورية ليس من شأنه ان يعرقل سير المعاملات الاقتصادية بينه و بينها و يشل الحركة التجارية في البلاد الشامية لان المجال متسع لعقد اتفاقات مخصوصة بينه و بين هذه الدول تضمن العلاقات الاقتصادية والا فبماذا تعلل المعاهدات التجاريةوالجمركيةوالاتفاقات الاقتصادية المتنوعة التي تعقد بين البلدان العامرة والامم الحية الراقية على ما بين كل بلد وآخر من التباين في الاخلاق والتقاليد الموروثة واللغات والمذاهب الدينية والانظمة الاجتماعية والسياسية . وكيف تستطيع فرنسا اللاتينية مثلاً ان تعقد الاتفاقات التجارية والاقتصادية مع المانيا الجرمانية وهي عدوتها التاريخية وان تحالف الامة الانجلوسكسونية وتبرم معها المعاهدات السياسية وغير السياسية على ما بين الشعبين الانجليزي والفرنسوي من الاخلاق المتباينة والتقاليد المتنافرة والخصومات

في ما تقدم وهو واثق بانه اتمّ عملاً جليلاً سيكون له اثره في احراز مودة السوريين واجتذابهم الى جانب فرنسا ولا سيما انه نهج في معاملتهم نهجاً لا غبار عليه متوسلاً بما انس من رغبة المعتدلين من الزعماء والكبراء في التعاون مع رجال الانتداب على انهاض البلاد وترقيتها لحمل المهيجين والمحرضين على الاخلاد الى السكون والكف عن المعارضة والمشاكسة . وخيل اليه ان المضي في مجاملة الزعماء وملاطفتهم الى اقصى حد مستطاع مفضٍ الى الغرض المنشود خصوصاً بعد ان اعلن على اثر تأسيس الوحدة السورية العفو عن المحكوم عليهم في شهر اغسطس سنة ١٩٢٠ من السوريين الذين مالئوا الملك فيصل . فبالغ في اكرامهم ومؤانستهم وجاراهم على افكارهم واغدق على طائفة كبيرة منهم الهدايا النفيسة والاموال الطائلة واجرى عليهم المرتبات الضخمة واسند الى كثيرين منهم مناصب خطيرة ووظائف عالية في حين ان الاكفاء من اعوان الدولة المنتدبة ومريديها اهمل امرهم اهمالاً يبعث على الدهشة والاستغراب وارسل عدداً كبيراً من ابنائهم الى الكليات والمدارس الكبرى في فرنسا لتلقي العلم على نفقة الحكومة الفرنسوية ناسجاً في ذلك على منوال السلطان عبد الحميد الذي اشتهر بعطفه على الزعماء ورؤساء العشائر وعنايته بامورهم عناية خاصة كانت مدرسة العشائر التي انشأها خصيصاً لتربية ابنائهم من اكبر الادلة عليها وفي جملة ما نجلى للعيان من مظاهرها واول ما قام من البيّنات على عظم شأنها واثرها في استمالة هؤلاء الزعماء واحراز ولائهم

استقلال جبل الدروز

وفي مقدمة الذين خصهم المندوب السامي بعنايته آل الاطرش زعماء جبل الدروز . فانه ارسل عدداً من ابنائهم الى مدارس فرنسا العالية وكانوا هناك موضعاً لرعاية خاصة من جانب الحكومة الفرنسوية . ونحن نذكر انه بعد ان استتب الامن في جنوب سورية وعادت الامور الى مجراها المعتاد في انحائها الشمالية على اثر تسليم عينتاب للفرنسويين (١٢ فبراير سنة ١٩٢١) واعرب دروز حوران عن

رغبتهم في الاستقلال تحت اشراف فرنسا استدعت المفوضية العليا هؤلاء الزعماء الى بيروت وانزلتهم في فندق سنترال على نفقتها فصرفوا هناك فترة من الزمان يفاوضونها في شئون جبلهم الى ان اسفرت المفاوضات بينها و بينهم عن اعتراف فرنسا باستقلال بلادهم (١٥ مارس سنة ١٩٢١) وعين سليم باشا الاطرش اميراً عليها ووضع لها نظام خاص يتفق مع تقاليدها واخلاق سكانها ويحقق مطالبها وامانيها . وكنا وقتئذ من نزلاء فندق سنترال واتيح لنا ان نجتمع الى هولاء الزعماء ونحدثهم غير مرة عن بلادهم وعرفنا ما لم يعرفه سوانا من امورهم وآرائهم ومرامي سياستهم وسير مفاوضاتهم مع دار المندوب السامي وشهدنا بنفسنا شدة اهتمامها بامرهم وملاطفتها لهم ورعايتها لمقامهم ومنزلتهم بين قومهم مما كان له اثره في نفوسهم وشأنه في استتباب الامر في بلادهم للدولة المنتدبة واستسلام الدروز اليها واذعانهم لمشيئتها . وكان بينهم سلطان بك الاطرش ومتعب بك الاطرش وعقلي بك القطامي صديق آل الاطرش وزعيم المسيحيين في حوران وقد تحدثنا معه غير مرة وتبين لنا من حديثه عنهم انه صديق حميم لهم وانه من اشد الموالين لهم اعجاباً بنجدتهم ومروءتهم وصلابة عودهم واقدامهم وان معظم الفضل في تمتع المسيحيين في حوران بالراحة وطيب العيش يعود اليهم .

سياسة الرفق وعواقبها

ومن الزعماء الذين نالهم اكبر نصيب من عطف الجنرال غورو وعنايته وكرمه الامير نوري الشعلان شيخ قبائل الرولة المشهورة بشدة بأسها وعظم شأنها وقد اهدى اليه في جملة ما نفحه به من الهدايا النفيسة بندقية ذات قيمة كبيرة تعد من التحف الثمينة النادرة . والامير محمود الفاعور شيخ قبيلة فضل وهو من كبار الزعماء الذين كان لهم اليد الطولى في فتن الجنوب التي اتقدت نارها في سنة ١٩٢٠ وقد عفا الجنرال عنه واعاد اليه املاكه وارزاقه ونفحه بهدايا مالية كبيرة واجرى على رجاله المرتبات

بيد ان هذه القاعدة على اطلاقها لم تبلغ بالجنرال غورو الى غايته القصوى منها علاوة على انها حملت الحكومة الفرنسوية اعباء مالية عظيمة كانت في غنى عنها لو انه قبض يده شيئاً واستعاض من اغداق الاموال على هذا وذاك من الزعماء وغير الزعماء بانتهاج خطة اخرى اكثر مطابقة لاخلاق القوم وتقاليدهم ولما الفوه في عهد الحكومة العثمانية من سادتهم وحكامهم . فنحن نعلم كما يعلم سوانا ممن وقفوا على سياسة المفوضية العليا في عهد الجنرال غورو ان كثيرين من الذين كان باب الخزينة مفتوحاً على مصراعيه في وجوههم كانوا يهزأون بهذه السياسة ويقبحون في سرهم هذا العمل متذرعين بما كانوا يغترفون من اموال الخزينة الفرنسوية لتوطيد مركزهم في البلاد وتعزيز نفوذهم بين قومهم واحراج موقف الدولة المنتدبة بما كانوا يكيدون لها من المكائد. وينصبون من الفخاخ مستعينين عليها برعاع القوم وسفلتهم متخذين الذهب الفرنسوي الوهاج وسيلة لاستمالتهم الى جانبهم واثارة حفائظهم ضدها وضد اعوانها . وقد فات رجال فرنسا ان هولاء الناس الفوا من الاتراك مدة اربعة قرون كاملة (١٥١٧ — ١٩١٨) سياسة القمع والارهاب والف الترك منهم الخضوع الاعمى لامرهم والاذعان التام لمشيئتهم والارتياح القلبي الى حكمهم مع ما كان يشوبه من الشوائب ويعتوره من المعائب ويسام الناس فيه من ضروب الخسف والارهاق ويعانون من ذل الاستعباد والم الاسترقاق ويستهدفون له لاول بادرة من قطع الارزاق ولاقل هفوة من قطع الاعناق ومع ما كان مألوفاً عند الحكام من مجاراة تيار الاهواء في سياسة الرعية وتصريف امور البلاد مما لا يزال الناس يذكرونه لقرب العهد به ولن يبرح اثره عالقاً في الاذهان وخبره جارياً على كل شفة ولسان مادامت الارض ارضاً والسماء سماء . فكيف يرضى هولاء الآن بسياسة اللين والمسالمة ويقبلون على التعاون مع الدولة المنتدبة تعاوناً صحيحاً صادقاً لا غبار عليه وهذه حالهم وتلك اخلاقهم وتقاليدهم وكيف يقبلون ان يتخذوا عن عهد الترك بديلاً وهذه امانيهم وتلك عواطفهم ونزعات نفوسهم وذلك ما الفوه ونشأوا عليه من احناء الرقاب

لسادتهم الترك الذين كانوا يأخذون باليمين ما يعطونه بالشمال فكان الذهب السوري يخرج من جيوب الرعية ليدخل جيوب الحكام خلافاً لما كانت عليه الحال في اول عهد الانتداب ولا سيما في عهد الجنرال غورو وهو ماحدا ضعفاء النفوس من القوم الى استضعاف الدولة المنتدبة واحتقار شأنها والحط من مقامها في عين العالم المتمدن وعدّ سياسة الرفق والسخاء التي جرت عليها في معاملتها لهم عجزاً منها عن الاحتفاظ بسلطانها عليهم ومقامها في بلادهم مع انهم لا يجهلون انها اليوم اعظم دولة عسكرية في العالم وقد خرجت من الحرب الكونية ظافرة فخورة ببسالة جنودها ودهاء رجالها ودفاعها المجيد عن قضيتها التي هي قضية الحضارة بل قضية العالم اجمع . فكانت هذه السياسة عليها شراً من الدعوة العربية والدسائس التركية والبولشفية . ولا ادل على ذلك من سلسلة الحوادث المتصلة الحلقات التي ابتدأت من اول عهد الاحتلال وتفاقمت بعد ان اقر مؤتمر سان ريمو الانتداب الفرنسوي وتخللتها فترات سكون وقتي اشبه شيء بفترات السكون التي تتخلل عواصف الشتاء الهوجاء فلا تسكن عاصفة الا لتهيء مكاناً لعاصفة اخرى اشد منها فعلا واعظم هولا

محاولة اغتيال الجنرال غورو

ذلك انه ما كاد الجنرال غورو يعلن وحدة سورية حتى فوجيء بحادث جديد اوشك ان يودي بحياته فادرك موطن الضعف والخطأ من سياسته وعرف ان اليوم كالامس :

وتفصيل الحكاية ان اعلان الوحدة السورية اتاح للمندوب السامي ان يفكر في الاحتكاك باهل البلاد واصحاب الكلمة المسموعة فيها وتفقد احوالها وشئونها عن كثب استطلاعاً للآراء في النظام الجديد ووقوفاً على ما لم يقف عليه من الاماني القومية تمهيداً لما يستطاع تحقيقه منها . ولم ير خيراً من هذه الفرصة السانحة لايراد برهان جديد على عناية الدولة المنتدبة بالموالين لها من رجال لبنان وسورية والاعراب جهراً عن ارتياحها الى ما آنست من ندم بعض كبار الزعماء على ما فرط

منهم بحقها . وكان الامير محمود الفاعور في مقدمة اولئك الزعماء . وقد رأى الجنرال من مظاهر الولاء التي تجلت في خطته الجديدة تجاه الدولة المنتدبة على اثر ما ناله من عطفها واصابه من نعمه وآلائها ما دعاه الى عقد النية على زيارته في داره مجاملة له ومبالغة منه في اكرامه . فركب في ٢٣ يونيو الى القنيطره . وقبل ان يشرف عليها اطلق فرسان متنكرون الرصاص على سيارته وهو على بعد ١٢ كيلو متراً منها فقتل ياوره الخاص وهو ضابط فرنسوي شجاع طلق المحيا وفي مقتبل العمر وجرح حقي بك العظم وهو يومئذ حاكم دمشق ونجا الجنرال باعجوبة لان الاشقياء صبوا على سيارته وابلاً من الرصاص واصيب محركها فوقفت عن المسير وهموا بالاجهاز عليها وعلى ركابها ففاجأتهم سيارات الركب الذي كان يواكب الجنرال فلاذوا بالفرار واعتصموا في جبال عجلون ثم اختفت آثارهم

واظهر التحقيق ان العصابة جاءت من شرق الاردن فاتهمت حكومة الامير عبد الله بمبالتها والتواطؤ معها خصوصاً ان الامير وهو شقيق الملك فيصل انهم منذ اسندت اليه امارة الشرق العربي بمجاراة الناقمين على فرنسا والظهور بمظهر المناوىء لها المعارض لانتدابها ويقول الذين يعزون اليه هذه التهمة ان معارضته تجلت بمظاهر شتى ولا سيما بعد خلع الملك فيصل والتجاء اعوانه ومريديه الى حوران وشرق الاردن حيث اصبحت عمان ملجأ امينًا لانصار الدعوة العربية والمنتمين الى الحزب الوطني السوري من الدمشقيين وغيرهم والناقمين من اعيان دمشق وكبرائها على الدولة المنتدبة . ونحن نذكر ان بعضهم حاول ان يلطف من وقع هذه التهمة في اندية باريس الرسمية توطئة للدخول في مفاوضات كان يرجى ان تسفر عن اسناد عرش سورية يومًا ما الى الملك علي بن الحسين فذهبت المساعي التي بذلت في هذا السبيل ادراج الرياح لان التهمة كانت قد رسخت في نفوس القوم رسوخ الحقائق الراهنة والظاهر انهم كانوا قد قطعوا كل رجاء بامكان الاتفاق مع اشراف مكة خصوصا بعد الذي تبينوه من مطامع الملك حسين وتعنته واصراره على المطالبة بما كان يدعي من الحق

في بسط سلطانه على سورية ولبنان والاستئثار بالسيادة فيهما دون الدولة المنتدبة

وفي ذلك اليوم الذي وقعت فيه هذه الحادثة المشئومة جرد الفرنسويون حملة عسكرية بقيادة الكولونيل دكرو فخرجت من دمشق زاحفة على القنيطرة وفي ٢٦ يونيو وصلت اليها واتصل بعلمها ان العصابة لجأت الى بعض القرى هناك فآوتها واكرمت مثواها فدمرتها القوة بقنابل المدافع ومقذوفات الطيارات وفي جملة هذه القرى جبانة الخشب وعوفاني وترنجه والاحمر وتل الشيخة وقد حجزت حاصلاتها وفرضت عليها غرامات مالية واطلقت المدافع على عدة مزارع في ترانك وارطانيا وضواحي جبانة الخشب فالحقت بها بعض خسائر . وفي ٢٩ منه زحفت القوة على مجدل شمس وجبائة الزيت وضربتهما بالمدافع وفي ٣٠ منه عادت الى القنيطرة فباعت المحصولات المحجوزة ثم عادت الى مقرها في دمشق . اما العصابة فعرف رجالها وقبض على بعضهم في اوائل شهر يوليو

بيد ان الجنرال غورو اظهر في هذه الحادثة من رباطة الجأش ما هو جدير بجندي باسل نظيره له في مواطن الخطر مواقف مشهورة لا يعد موقفه هذا بجنبها شيئاً مذكوراً . وحسبه ما وقع له في حرب الدردنيل حيث كان على رأس جيشه يدير رحى القتال غير مبال بالاخطار المحدقة به حتى اصابته قنبلة كبيرة وقذفت به الى مسافة بعيدة ونقل الى باريس حيث بترت يده اليمنى واحدى ساقيه وما كادت جراحه تلتئم حتى عاد الى ساحة الحرب

في قصر بكركي

فلم يكن هذا الحادث ليثنيه عن عزمه ويحمله على تعديل رحلته او العدول عنها الا فيما يتعلق منها بالقنيطرة فاتمها في بضعة ايام . وقد اتيح لنا ان نشهد خاتمتها في المقر البطريركي الماروني في بكركي . وكانت خاتمة جميلة رائعة تختلف اختلافا بيناً عظيما عن تلك المقدمة المشئومة . وقد تجلى فيها ولاء الموارنة للدولة الفرنسوية بابهى مظاهره واجلها . فاقبلوا على قصر بكركي من اقاصي حدود كسروان الجنوبية والشرقية الى

اقصى الانحاء الشمالية والغربية من لبنان وتألب اهل القرى من كل حدب وصوب تتقدمهم الموسيقات الوطنية وهي تصدح بالانغام الشجية وتخفق فوق رؤوسهم الرايات اللبنانية والفرنسوية وقصف البارود يدوي وتتجاوب اصداؤه في الجبال والوديان ممتزجة باصداء الاهازيج القومية الحماسية . وشاق الجنرال غورو هذا المشهد المبهج المطرب فوقف على رتاج الباب الداخلي للقصر البطريركي ينظر ويصغي والى جانبه غبطة البطريرك محاطاً بطارنته ورجال حاشيته وحاشية المندوب السامي واسترعى انتباهه على الخصوص حداء شاب متحمس بيده سيف كان يهزه ويلوح به مترنحاً وهو ينشد اناشيد حماسية تنم على الم في النفس وحرقة في الفؤاد . وخيل الى الجنرال ان الشاب مدفوع بعامل خارجي الى سلوك هذا المسلك الغريب في مثل هذه الحفلة الحافلة فطلب ان تترجم اقواله وان يسأل عن الباعث له على الظهور بهذا المظهر الخشن على مشهد شيخ لبنان الجليل الذي يفاخر بصداقة فرنسا ومسمع جمع كبير من اعيان اللبنانيين وكبرائهم . واذ عرف بعد التحقيق معه في المقر البطريركي نفسه ان العامل داخلي نفساني ولا شأن لاحد فى ما جهر به من الاقوال التي عدها بعضهم جارحة لعواطف رجال الانتداب وانه كان فيها معبراً عن رأي كل لبناني يعطف على فرنسا ويغار على كرامتها ومقامها ويقدر حبها للبنان وعطفها الموروث على اللبنانيين — اذ عرف ذلك سكنت هواجسه . وبعد بضعة ايام عين الشاب حاجباً في محكمة كسروان

عتب اللبنانيين

فماذا قال ذلك الشاب حتى حرك قلب المندوب السامي بالعطف عليه ؟ لقد قال ما قال بالجرأة التي استوقفت نظر بطل شمبانيا معاتباً فرنسا على اهمالها شأن لبنان ومعاملته له معاملة شاذة لا تنطبق على ما هو مأثور عنها من اقبالها في كل عصر من عصور تاريخها الحافل بالاعمال المجيدة على شد ازر الامم الضعيفة ولا سيما ما كان منها مواليا لها نظير الامة اللبنانية . كان يقول — وكل لبناني يؤمن على قوله — ان

لبنان ضحى في اثناء الحرب الكبرى بما لا يقل عن ربع ابنائه وثلث ممتلكاته الثابتة والمنقولة من اجل فرنسا وفي سبيل ولائه لها . وقد اغضى على القذى وصبر على ظلم الترك له واغتصابهم لحقوقه واماتتهم لسكانه وفلذات كبده جوعاً واستسلم الى الاقدار تاركا ابناءه يسامون العذاب الوانا شاخصاً اليهم وسيف ديموقليس مشهراً فوق رؤوسهم والفناء يتمشى في حنايا ضلوعهم وغشاوة الموت تنسدل على عيونهم وهم يسلمون الروح وانظارهم متنقلة بين البحر والسماء باحثة عن مغيث سماوي آت من طريق الجلجلة او معين ارضي قادم من ارض كلوفيس وآخر نفثة من نفثات صدورهم نداء للخالق ودعاء لفرنسا . كل ذلك على امل ان يخرج من الحرب ببقية من الحياة تتعهدها فرنسابعنايتها فتكون نواة لامة لبنانية جديدة فتية تستند الى ذراع شقيقتها الكبرى الكريمة في السير الى الامام جادة وراء غرضها في السبيل الذي رسمته لها استرجاعاً لمجدها التليد وعزها الغابر فتكون لها عوناً على توطيد نفوذها في الشرق وتعزيز مقامها في الديار السورية . كان الشاب يردد اقوالا في معنى ما تقدم وهو ما يتردد على كل لسان في لبنان وقد زاد عليها قوله ان النفع مقياس المحبة وانه ما دام جيبه فارغاً وجوفه خاوياً ويبيت على الطوى وهو ابن لبنان ربيب فرنسا وحبيبها فقلب فرنسا اذن خاو من كل عطف خال من كل حب يرجى من ورائه نفع للبنان وبنيه وان ذلك ما بعث كثيرين من اللبنانيين الذين هم على شاكلته على التماس الحياة في ديار الغربة فهجروا الاوطان ضاربين في بلاد الله الواسعة انتجاعاً للرزق ناسجين على منوال الذين تقدموهم من مواطنيهم الذين لم يدركوا اوطارهم ويفوزوا بتحقيق رغائبهم ومطامعهم الا لانهم عرفوا ما عرفه غيرهم من الذين خبروا الحياة ووقفوا على سر تقدم الامم الحية وعرفوا على الخصوص انه ليس بالعواطف وحدها يحيا الانسان وان الحب مراتب وانواع افضلها ما كان قائماً على المصلحة المتبادلة .

ذلك ما سمع ممثل فرنسا باذنيه مثالا منه في ما كان يضرب المثل بصدق

ولائه لها . ولاغرو فان ما شهد لبنان من تضييق رجال الانتداب عليه في ما يتعلق بنظام الحكم الذي وضعوه له خيب آماله . فقد سن له الموسيو روبر دي كيه السكرتير العام للمفوضية الفرنسوية العليا في سورية ولبنان نظاماً اساسياً غريباً لا يتفق مع حالته ودرجة رقيه وحضارته ولا يطابق ما هو مأثور عن ذكاء اهله ومقدرتهم العقلية والخلقية علاوة على انه لا يلتئم مع ما تعترف الدولة المنتدبة به من تمرنه على الحكم الذاتي مدة كافية جعلته كفوءاً لنظام اوسع نطاقاً واشد انطباقاً على قواعد الحكم الديموقراطي الصحيح ولا مع ما هو مشهور عنها من الثقة بصدق ولائه لها والرغبة في الاهتمام به والعناية بمصالحه وترقية مرافقه واصلاح ما فسد من اموره

ومما زاد الطين بلّة ان النظام الاساسي الذي وضع للبنان لم يجيء مطابقاً لتصريحات رجال فرنسا المتكررة ولا للبند ٢٢ من عهد جمعية الامم ولا لوعد الحكومة الفرنسوية له بان تراعي في سن هذا النظام ما كان يتمتع به قبل الحرب من الامتيازات التي اختصته الدول بها بمقتضى النظام الاساسي الذي سن له بعد حوادث سنة ١٨٦٠

تحديد الانتداب ومهمة الدولة المنتدبة

ولكي يدرك القارىء اهمية التصريحات التي افضى بها رجال فرنسا في هذا الشأن حسبنا ان نشير الى فصل نشر في عدد يناير سنة ١٩٢١ من مجلة العالمين الفرنسوية للموسيو ريمون بوانكاره وهو يومئذ رئيس الحكومة الفرنسوية . وفي هذا الفصل بيان واف عن الغرض من الانتداب وشروطه وكيفية تطبيقه مما اسهبت الصحف والمجلات في شرحه والتعليق عليه وهو يتلخص في ما يأتي :

« . . . فنحن لسنا في الشرق الادنى بمقام من يعمل لبسط حمايته على مختلف انحائه او ضمها الى ممتلكاته فنحن هناك بمقتضى انتداب تلقيناه من جمعية الامم عملا

بمعاهدة فرسايل . . . وللانتداب ثلاث طبقات مرموز لها بالحروف الثلاث الاولى من الابجدية وهي ا و ب و ج . والطبقة حرف « ا » التي يفهم بها انتدابنا في سورية ولبنان والانتداب البريطاني في فلسطين والعراق تشمل الدول التي يجب ان تظل مستقلة بحيث تقتصر مهمة الدولة المنتدبة لها على تقديم المعونة اللازمة لها . . . فلسنا اذن الا مساعدين ومرشدين لشعوب متمدنة خولت الحق في التمتع باوسع انواع الحكم الذاتي نطاقاً . وهذا ما اعتقده المسلمون والمسيحيون في سورية ولبنان والا لما قابلوا جنودنا في بدء الاحتلال بمثل ما يقابل به المحررون . فكل ما تحتمله الوصاية الحقيقية التي عهد الينا فيها ينحصر في عدد قليل من الجند لصيانة النظام وتوطيد الامن وبعض كبار الموظفين للرقابة . فاذا ما ظهرنا هناك بمظهر الفاتحين فمما لا ريب فيه اننا نخيب آمال الاهلين ونفقد ثقتهم ومحبتهم . »

ولم ينفرد الموسيو بوانكاره بالموافقة على هذه المبادىء المقررة بل ان الموسيو بريان وهو ينتمي الى الحزب المناوىء لحزب جهر وهو رئيس الوزارة بما يؤيدها . فقد قال عندما طرحت في مجلس النواب مسألة الاعتماد المالي المطلوب لسورية على بساط البحث : « ان الحكومة الفرنسوية لا تنظر الى لبنان وسورية نظرها الى البلدان القابلة للاستعمار او الحماية بل هي تريد ان تحتفظ ازاءهما بفكرة الانتداب . . . وفرنسا لا تذهب الى هناك لتقيد حرية الشعب . »

اما عهد جمعية الامم فالبند الثاني منه ينص على ان الانتداب الذي يتناول البلدان المرموز لها بحرف « ا » يجب ان يقتصر على اسداء النصائح من غير ان ينطوي على ما يمس سلطة الحكومة الوطنية . والبند ٢٢ من هذا العهد ينص على « ان الشعوب التي كانت خاضعة للدولة العثمانية بلغت منزلة من الرقي تجعلها اهلا للاعتراف باستقلالها على ان يعين لها من يعاونها ويمد ادارتها الوطنية بالارشادات اللازمة الى ان تصبح قادرة على تدبير شئونها بنفسها » .

ولا يخفى ان قيام حكومات وطنية في لبنان وسورية في مقدمة الشروط التي

تعزز مبدأ الانتداب وتبرر وجوده . ومما لا نزاع فيه ان نجاح مهمة الانتداب فيها يستدعي ترك حرية العمل لهذه الحكومات لتتولى الأمر بنفسها تحت اشراف الدولة المنتدبة ورقابتها بحيث يكون رجال هذه الدولة بمعزل عن الوظائف الادارية والا تكون قد حلت محل هذه الحكومات التي لا مسوغ لوجود الانتداب من دونها

ثم ان لارشاد الحكومات الوطنية طرقاً واساليب مخصوصة معينة لا مندوحة للدولة المنتدبة عن التقيد بها والجري على احكامها كأن تحصر في دوائر الحكومة المركزية ولا تتعداها الى دوائر الحكم في الاقاليم ولا تتناول الا الامور الكلية والمسائل الكبرى الهامة والا افسدت على الموظفين الوطنيين الامر وانقصت من سلطتهم بما تنقصه من اهمية عملهم وحطت من قدرهم في عيون مرؤوسيهم وافضت الى ضعف شعورهم بالتبعة الملقاة على عاتقهم وهو ما يثبط عزائمهم ويؤول الى تراخيهم وتهاونهم واختلال الاعمال وفساد الاحكام واضطراب حالة البلاد واستلامها الى اليأس والفوضى . وهذا علاوة على ان رئيس الحكومة يجب ان يكون وطنياً والى جانبه مستشار فرنسوي لا ان يكون الامر على عكس ذلك كما كان على عهد الجنرال غورو حيث اسند منصب الحاكم الى ضابط بحري . ذلك لان الحاكم الفرنسوي لا يخضع لاحكام الرقابة ولا سيما اذا لم يكن هناك مجلس نواب يسيطر على اعماله خلافاً للحاكم الوطني فانه لا يستطيع الاستئثار بالسلطة من دون المستشار الذي يعين له من رجال الانتداب .

ومن جهة اخرى فان النظام الذي سارت عليه المفوضية العليا في ذلك الحين جعلها اشبه شيء بدولة قائمة بذاتها لها دوائرها وموظفوها وميزانيتها وتعالج جميع المسائل سياسية كانت او ادارية او اقتصادية او مالية وتتدخل في كل امر سواء كان من اختصاصها او من اختصاص الحكومات الوطنية حتى اختلط الحابل بالنابل ولم يعد رجال الانتداب انفسهم في دوائر المفوضية ودوائر هذه الحكومات يميزون بين ما هو داخل في دائرة اختصاص هذه وما هو من اختصاص تلك .

جيش عراقي مدرب واستقرت الامور في مستقرها واطمأن العراقيون على مصير بلادهم لان وصاية الانجليز عليها اصبحت بحكم المعاهدة الاخيرة وصاية وقتية وقد ضرب موعد لجلائهم عنها متى انتهى اجل هذه الوصاية وهذا ما عزز مقام بريطانيا العظمى في العراق ورفع منزلة جمعية الامم في عيون العراقيين

وليست الحال كذلك في البلدان المشمولة بالانتداب الفرنسوي حيث خولفت السياسة التي انتهجت في العراق وفلسطين مما كان له اثر غير محمود في نفوس سكانها وافضى الى ما افضى اليه من الحوادث التي اشرنا اليها في ما تقدم مع ان الشعور بالاستقلال بلغ من نفوس هؤلاء ما بلغه من نفوس اولئك فهو عام شامل وربما كان في لبنان وسورية اشد منه في سواهما من اقطار الشرق الادنى . وهذا علاوة على ان ملك الحجاز لم يتخل عن مطامعه في هاتيك البلاد فكان اعوانه وانصار الدعوة العربية عاكفين على العمل يتحينون الفرص السانحة لاجتذاب الناس الى جانبه متوسلين بكل طارىء وكل اشاعة مقلقة لاحراج موقف الدولة المنتدبة ونصب المكائد لها واثارة الخواطر عليها فكان هذا الاحجام من جانب رجالها المسئولين عن تطبيق الانتداب بمعناه ومبناه وتنفيذ احكامه على حقيقتها وبما يقتضيه الموقف من الضبط والانتباه مما اتاح للناقمين واصحاب المقاصد الملتوية ان يستغلوا قلق الرأي العام الناشىء عن هذا الاحجام لمصلحتهم ومصلحة الذين يستمدون منهم الوحي . وقد فات رجال الانتداب ان احتمالهم لتبعة الحكم المباشر تجاه اهل البلاد يعرضهم للانتقاد ويوغر الصدور عليهم خلافاً لما يكون الحال لو القوا هذه التبعة على عاتق الوطنيين واحتفظوا بمهمة « الحكم » بينهم لاحرزوا اذن ثقتهم واكتسبوا مودتهم واحترامهم

واذا كان رجال الانتداب نحوا تجاه الدول السورية نحواً ادناها شيئاً من الحكم الذاتي الذي ينص عليه صك الانتداب فليست الحال كذلك في لبنان فان الجنرال غورو نظم الشئون في داخلية البلاد السورية طبقاً لقواعد هذا الصك مستثنياً بعض

مسائل تتعلق بالتمثيل البرلماني ترك حلها للمستقبل بحيث بات ظل الانتداب هناك لطيفاً شفافاً ليس فيه ما يبعث على الشكوى . اما في لبنان فقد ادخل على نظام الادارة بعض الاصلاح ولكنه غير واف بالمرام فظل نظام الحكم فيه ادنى الى الحكم المطلق منه الى الحكم الدستوري الديمقراطي وكان نصيبه ـ وهو الذي الف الاستقلال ـ الحكم المباشر ونصيب سورية ـ وهي التي الفت الحكم المباشر ـ نظام الحكم الديمقراطي

نظام لبنان الاساسي وعيوبه

وقد تجلت عيوب النظام اللبناني على اتمها في القرار الرسمي الذي اصدره المسيو روبار دي كيه في ٨ مارس سنة ١٩٢٢ بالنيابة عن المندوب السامي الفرنسوي في سورية ولبنان وهو القرار المشتمل على نص القانون الاساسي الذي وضع لدولة لبنان الكبير . وحسبنا ان نشير الى بعض فقرات منه ليتبين القارىء ما ينطوي عليه من السخاء :

جاء في البند الاول ان حاكم لبنان العام يعين بمقتضى مرسوم من المندوب السامي للجمهورية الفرنسوية وهو الذي يعرض على المجلس التمثيلي ما تدعو الحالة الى عرضه عليه من شئون الدولة بعد ان يكون قد درسها بنفسه . وله وحده الحق في وضع مشروعات التشريع قبل عرضها على المجلس وفي اصدار العفو عن المحكوم عليهم وتعيين الموظفين وغير ذلك من الشئون الهامة . واما العفو العام فمن اختصاص المندوب السامي . ومعنى ذلك بعد ان اسند منصب الحاكم الى ضابط فرنسوي ان السلطة الفعلية كلها في لبنان اصبحت للدولة المنتدبة

وينص البند السادس على ان للمجلس التمثيلي الحق في القاء اسئلة على الحكومة عما يدخل في دائرة اختصاصه من الامور والحكومة تجيب عليها في خلال خمسة ايام او اكثر ولها ان تحجم عن الاجابة اذا قضت المصلحة العامة بذلك . وما دام تعيين هذه المصلحة منوطاً بالموظفين الفرنسويين فالقاء الاسئلة وعدمه

ونحن نذكر ان ضابطاً فرنسوياً كان يشغل وظيفة مدير الشئون الاقتصادية في حكومة لبنان قال لنا مرة ان هذه الفوضى الادارية ادت به الى قصر مهمته على درس المشروعات والمواضيع التي كان يوعز اليه بدرسها متجاوزاً عما عداها من المسائل الاقتصادية الهامة التي كانت منوطة به بحكم وظيفته لعلمه ان هذه المسائل خاضعة لمؤثرات وعوامل شتى لاطاقة له على اجتنابها واتقاء غوائلها مما يجعل تنفيذها والحالة هذه على نحو مابسطناه ضرباً من المحال . وقد جربنا الامر بنفسنا فوضعنا تقريراً ضافياً عن حالة لبنان الاقتصادية بينا فيه مواطن الضعف منها باسطين اصح الآراء في كيفية معالجتها واصلاحها ولكن تلك الفوضى الادارية حالت دون الشروع في اصلاح الحالة طبقاً للقواعد المنطوي عليها مع اعتراف السلطة المختصة التي اوعزت الينا بانشائه بصحتها وضرورة التعجيل في تطبيقها ولا سيما ما يتعلق منها بتسوية ديون الحرب التي كادت تجرد اللبنانيين من املاكهم المبنية والعقارية .

وقد بين سعادة عبد الله صفير باشا في كتابه « الانتداب الفرنسوي في سورية ولبنان » الذي انشأه في اواخر سنة ١٩٢١ وطبع في اوائل سنة ١٩٢٢ ما في هذا النظام من الشوائب التي تحول دون تطبيق الانتداب على اصوله وقواعده المقررة في عهد جمعية الامم وادراك الغرض المقصود منه ناصحاً لرجال فرنسا المسئولين عن البلدان الخاضعة لانتدابها ورفاهية شعوبها ان يعدلوا عن هذا النظام وينتهجوا سياسة جديدة توصلهم الى الغاية المنشودة متعظين بعبر الماضي وبمثل الانكليز في مصر متقين غوائل الحكم المباشر ومضاره الجسيمة متجنبين الاحتكاك بالعناصر الخطرة والتعرض للانتقادات والحملات المنكرة التي يتسع معها مجال العمل للساخطين والناقمين من ذوي المقاصد الملتوية وينفتح باب الدسائس على مصراعيه لاصحاب المآرب الشخصية من اهل البلاد وغيرهم من ارباب المصالح السياسية مما لا تحمد عقباه ولا يؤمن سوء مغبته وشدة ضرره ولا يستطاع اتقاء شره ودفع بلواه ولو بذل دونه كل ما عز وهان من دماء غزيرة واموال طائلة ومصالح عظيمة وهو ما حققته

الايام فيما يلي من الزمن

ذلك ما بعث لبنان على التذمر والشكوى وقد ازداد تذمراً وتبرماً على اثر ما نشرته جريدة الطان ومجلة العالمين الفرنسويتان الاولى في ٣٠ اكتوبر والثانية في اول دسمبر سنة ١٩٢١ وهو ان الحكومة الفرنسوية تنوي تأليف « مجالس استشارية» لسورية ولبنان لا يكون لها حق البت في المسائل الداخلية التي لا تتناولها سلطة الدولة المنتدبة ولا صلة لها بها . وهذا ما يستخلص منه ان السيادة الفرنسوية حلت محل السيادة التركية في هاتيك البلاد مع ان التغيير الذي طرأ على مركزها السياسي وتطور نفسية سكانها على المنوال الذي تجلت مظاهره في ما سبق من الحوادث التي اتينا على ذكرها- وهو التطور الذي كان لمبادىء الرئيس ولسن اليد الطولى فيه - مما لا يستطاع تجاهله والتغافل عنه وانكار عواقبه البعيدة المدى واغماض الطرف عما هنالك من الاعتبارات الادبية والسياسية والتاريخية التي لا مندوحة عن مراعاتها في معاملة السوريين واللبنانيين وانتهاج سياسة الحكم المباشر في بلادهم طبقاً لنظام أساسي قائم على قواعد الارتقراطية المناقضة للمبادىء الولسنية ولروح الانتداب الذي قام على اساسها

فالمعونة التي نص عليها عهد جمعية الامم استحالت على يد روبر دي كيه الى سيطرة تامة وهذا ما تعمده الرجل فعلاً تنفيذاً لاتفاق سايكس - بيكو ولو ان صك الانتداب جاء ناسخاً له مبطلاً لاحكامه وهو ما كان موضعاً لتنبه انجلترا وعنايتها فجرت في معاملة العراق على خطة مرسومة طبقاً لروح الانتداب متجاوزة عما خولت من الحقوق بمقتضى ذلك الاتفاق . وبذلك رسخت قدمها في وادي الفرات واستتب لها النفوذ في ارض الكلدان على المنوال الذي شهدناه في نتائج المعاهدة التي عقدتها مع الحكومة العراقية في سنة ١٩٢٢ وابرمت في سنة ١٩٢٤ ثم حلت محلها معاهدة اخرى عقدت في ١٤ يناير سنة ١٩٢٦ ومن ذلك الحين اخذت احوال البلاد الاقتصادية في التحسن والترقي يوماً بعد يوم وشرع في تعميم التعليم وانشىء

جيش عراقي مدرب واستقرت الامور في مستقرها واطمأن العراقيون على مصير بلادهم لان وصاية الانجليز عليها اصبحت بحكم المعاهدة الاخيرة وصاية وقتية وقد ضرب موعد لجلائهم عنها متى انتهى اجل هذه الوصاية وهذا ما عزز مقام بريطانيا العظمى في العراق ورفع منزلة جمعية الامم في عيون العراقيين

وليست الحال كذلك في البلدان المشمولة بالانتداب الفرنسوي حيث خولفت السياسة التي انتهجت في العراق وفلسطين مما كان له اثر غير محمود في نفوس سكانها وافضى الى ما افضى اليه من الحوادث التي اشرنا اليها في ما تقدم مع ان الشعور بالاستقلال بلغ من نفوس هؤلاء ما بلغه من نفوس اولئك فهو عام شامل وربما كان في لبنان وسورية اشد منه في سواهما من اقطار الشرق الادنى . وهذا علاوة على ان ملك الحجاز لم يتخل عن مطامعه في هاتيك البلاد فكان اعوانه وانصار الدعوة العربية عاكفين على العمل يتحينون الفرص السانحة لاجتذاب الناس الى جانبه متوسلين بكل طارىء وكل اشاعة مقلقة لاحراج موقف الدولة المنتدبة ونصب المكائد لها واثارة الخواطر عليها فكان هذا الاحجام من جانب رجالها المسئولين عن تطبيق الانتداب بمعناه ومبناه وتنفيذ احكامه على حقيقتها وبما يقتضيه الموقف من الضبط والانتباه مما اتاح للناقمين واصحاب المقاصد الملتوية ان يستغلوا قلق الرأي العام الناشىء عن هذا الاحجام لمصلحتهم ومصلحة الذين يستمدون منهم الوحي . وقد فات رجال الانتداب ان احتمالهم لتبعة الحكم المباشر تجاه اهل البلاد يعرضهم للانتقاد ويوغر الصدور عليهم خلافاً لما يكون الحال لو القوا هذه التبعة على عاتق الوطنيين واحتفظوا بمهمة « الحكم » بينهم لاحرزوا اذن ثقتهم واكتسبوا مودتهم واحترامهم

واذا كان رجال الانتداب نحوا تجاه الدول السورية نحواً ادناها شيئاً من الحكم الذاتي الذي ينص عليه صك الانتداب فليست الحال كذلك في لبنان فان الجنرال غورو نظم الشئون في داخلية البلاد السورية طبقاً لقواعد هذا الصك مستثنياً بعض

مسائل تتعلق بالتمثيل البرلماني تركَ حلها للمستقبل بحيث بات ظل الانتداب هناك لطيفاً شفافاً ليس فيه ما يبعث على الشكوى . اما في لبنان فقد ادخل على نظام الادارة بعض الاصلاح ولكنه غير واف بالمرام فظل نظام الحكم فيه ادنى الى الحكم المطلق منه الى الحكم الدستوري الديمقراطي وكان نصيبه - وهو الذي الف الاستقلال — الحكم المباشر ونصيب سورية - وهي التي الفت الحكم المباشر — نظام الحكم الديمقراطي

نظام لبنان الاساسي وعيوبه

وقد تجلت عيوب النظام اللبناني على اتمها في القرار الرسمي الذي اصدره المسيو روبار دي كيه في ٨ مارس سنة ١٩٢٢ بالنيابة عن المندوب السامي الفرنسوي في سورية ولبنان وهو القرار المشتمل على نص القانون الاساسي الذي وضع لدولة لبنان الكبير . وحسبنا ان نشير الى بعض فقرات منه ليتبين القارىء ما ينطوي عليه من السخاء :

جاء في البند الاول ان حاكم لبنان العام يعين بمقتضى مرسوم من المندوب السامي للجمهورية الفرنسوية وهو الذي يعرض على المجلس التمثيلي ما تدعو الحالة الى عرضه عليه من شئون الدولة بعد ان يكون قد درسها بنفسه . وله وحده الحق في وضع مشروعات التشريع قبل عرضها على المجلس وفي اصدار العفو عن المحكوم عليهم وتعيين الموظفين وغير ذلك من الشئون الهامة . واما العفو العام فمن اختصاص المندوب السامي . ومعنى ذلك بعد ان اسند منصب الحاكم الى ضابط فرنسوي ان السلطة الفعلية كلها في لبنان اصبحت للدولة المنتدبة

وينص البند السادس على ان للمجلس التمثيلي الحق في القاء اسئلة على الحكومة عما يدخل في دائرة اختصاصه من الامور والحكومة تجيب عليها في خلال خمسة ايام او اكثر ولها ان تحجم عن الاجابة اذا قضت المصلحة العامة بذلك . وما دام تعيين هذه المصلحة منوطاً بالموظفين الفرنسويين فالقاء الاسئلة وعدمه

سيان واصبح امر استجواب الحكومة واستيضاحها مما لا يقام له وزن ولا يحسب له حساب .

والبند التاسع يقسم اجتماع المجلس الى فصلين قصيرين لا تزيد مدتهما على نحو ثلاثة اشهر . وثانيهما مخصص لدرس الميزانية واقرارها ومدته ٣٥ يوماً ومعنى ذلك ان درس ما بقي من شئون الدولة وامورها يجب الا يستغرق اكثر من شهرين

والبند الثاني والثلاثين ينص على انه اذا ابى المجلس الموافقة على الاعتمادات المالية المطلوبة لسد النفقات الاجبارية المنصوص عنها في الميزانية فللمندوب السامي ان يصدر مرسوماً باعتمادها . وهذه النفقات تشمل بحسب البند ٣٠ نفقات الادارة العمومية ونفقات دوائر الشرطة والامن العام والدوائر الملكية على اختلاف طبقاتها واقساط الديون والنفقات المتأخرة من السنين السابقة

والبند ٣٤ ينص على انه لا تفرض ضريبة جديدة ولا تزاد ضريبة موجودة الا بموافقة المجلس . ولكنه من جهة اخرى يسلب المجلس هذا الحق اذا ظهر عجز في ميزانية الايرادات

والبند ٣٦ يعدد المواد التي جعل من حق المجلس ابداء رأيه فيها . واما المواد التي خول حق الفصل فيها فمحصورة في الامور الآتية : ١ — تعيين مقدار الاموال التي تجبى من الممولين لانشاء الطرقات واتمام المشروعات الاقتصادية وغيرها مما يستلزمه عمران البلاد ٢ — انشاء ملاجىء الاسعاف الصحي وتنظيم صناديق تعاون او صناديق اعانة للموظفين ٣ — اعانات مختلفة لا صلة لها بالتعليم على انواعه . ٤ — قبول الهبات او الاشياء الموصى بها للدولة . الخ .

وفي هذا البند اكبر دليل على غل يد المجلس التمثيلي عن تناول اقل ما تتناوله ايدي المجالس النيابية في الحكومات الديمقراطية من المسائل الحيوية الهامة سياسية كانت او مالية او اقتصادية او ادبية

والبند ٤٠ يخول المندوب السامي — علاوة على ما خول له بمقتضى البند الثاني

والثلاثين ـ الحق المطلق في اقرار الميزانية اذا لم يدرسها المجلس ويوافق عليها في خلال المدة المحددة في البند التاسع .

وقد قابل اللبنانيون في الوطن وفي الخارج هذا القانون الشاذ بالاحتجاج الشديد وعدوه اداة جديدة من ادوات السيطرة والسيادة

الفتن في الشمال والجنوب

وقبل ان يعلن هذا القانون ويوضع موضع التنفيذ كان الاضطراب في انحاء البلاد السورية عاد الى سابق عهده ووقعت حوادث كثيرة ولا سيما في شمال سورية حيث استفحل امر العصابات واتخذت جبل الزاوية غرب حلب مقراً لها والفت حكومة وطنية برئاسة ابرهيم بك هنانو الثائر الحلبي المعروف فجرد الفرنسويون حملة عسكرية كبيرة للتنكيل بها وتأديب القرى التي آوتها او انحازت الى جانب زعيمها. وقد تمكنت الحملة من قمع الفتنة وتبديد شمل العصاة والقضاء على مطامع هنانو واحلامه ودمرت القرى الثائرة وفي جملتها حارم وكفر تخاريم واريحا وجانباً من قريتي ادلب وجسر الشغور او الشغر . واعتقل هنانو وحوكم امام مجلس عسكري فحكم ببراءته (١٨ مارس سنة ١٩٢٣) بعد ان استمرت محاكمته اربعة ايام . وفي اليوم التالي قامت مظاهرة عظيمة في حلب ابتهاجاً ببراءته وارسل الى الجنرال رونو قائد الفرقة الثانية الفرنسوية في حلب كتاب شكر قال له فيه انه اصبح منذ اليوم صديقاً صادقاً للحكومة الفرنسوية

وانبرت عصابة ملحم قاسم الثائر المعروف للعمل في قضاء بعلبك ونكبت بعض القرى فطاردها الفرنسويون الى الجبال وبددوا شملها ولم يطل المطال على مقاومتها لهم خصوصاً ان زعيمها كان قد مل القتال والتمس العفو ولما ظفر به اتخذ عين السلاح الذي قلده اياه الفرنسويون لاستئناف القتال وما برح هذا شأنه حتى استسلم اليهم في عهد الجنرال فيغان واعتقل في سجن بيروت

ووقعت حوادث (ابريل سنة ١٩٢١) بين الدروز والمسيحيين في قضائي حاصبيا ومرجعيون ولكنها لم تكن ذات بال وانتهت على سلام

مطامع الملك حسين

ثم استتبت السكينة في سورية ولبنان ولو انها سكينة نسبية كالتي تتخلل العواصف الهوجاء فهدأ روع الجنرال غورو وسكنت هواجسه ولا سيما بعد ان فاز الملك فيصل بعرش العراق (٢٢ يوليو سنة ١٩٢١) بموافقة انجلترا وفرنسا وخيل اليه ان ذلك قد يؤول الى تداعي مركز الحزب العربي في دمشق وتخلي اعوانه عنه وانقضاء عهد الفتن والدسائس في الديار السورية فيخلو له الجو وينصرف الى الاصلاح مع ان الملك حسين كان لا يزال متشبثاً في مطالبه طامحاً الى بسط سيادته على سورية ولبنان ولم تكن مبايعة نجله وظفره بعرش العباسيين كافيين في اعتباره لارجاعه عن غيه وحمله على الاقلاع عن مطامعه او الافضاء بانصار الدعاية العربية الى الكف عن دس الدسائس للدولة المنتدبة احراجاً لموقفها واكراهاً لها على الاعتراف له بالحقوق التي كان يدعيها على سورية ولبنان . ولا ادل على ذلك مما جاء في البيان الذي اذاعه على الملأ في ٨ دسمبر سنة ١٩٢١ ولا سيما قوله فيه : « ان لا غاية له الا وحدة العنصر العربي ولا يهمه من امر الرئاسة ان يتقلدها سوري او عراقي او نجدي أو يمني بدليل اعترافه فيما مضى في بياناته العديدة بان الحجاز كان مرتبطاً في عهد الايوبيين بدمشق وفي عهد العباسيين ببغداد وان لا مانع من الرجوع الى ذلك العهد »

سفر الجنرال غورو الى باريس

بيد ان الجنرال غورو اراد ان يتوسل بفترة الهدوء الذي خيم على البلاد في الربع الاخير من تلك السنة للذهاب الى باريس وبسط الحالة لحكومته واحاطتها علماً بما تم من الاعمال في خلالها وما هنالك من المشروعات التي تقتضي نفقات جديدة لا مندوحة له عن تقديم البيانات اللازمة عنها حملاً لمجلس النواب على اقرارها قياساً على ما فعل في سنة ١٩٢٠ حيث ذهب بنفسه الى باريس وفاز بموافقة النواب على الاعتمادات المالية التي طلبها سداً للنفقات الباهظة التي كانت تستلزمها الحالة وقتئذ . فشد الرحال الى فرنسا وتحدث الى رجالها واقطابها ولكنه لم يلق من ارتياحهم

الى كثرة النفقات التي بذلت في هذه السنة ما لقي في سنة ١٩٢٠ خصوصاً ان مجموع النفقات من اول عهد الانتداب كان قد بلغ نحو ٧٥ مليون جنيه ذهباً وهو ما ينوء به الممول الفرنسوي وتعجز دونه فرنسا بعد ان ابهظت نفقات الحرب الهائلة كاهلها وخلفتها تعاني ضنك المعيشة والم الحرمان توطيداً لمركزها المالي واسترجاعاً لثقة العالم فيها وتعزيزاً لنقدها الذي هوى الى الحضيض وكاد يودي بحياتها ويوردها موارد الهلكة والدمار

لم يكن اذن طلب المندوب السامي ليقابَل في مجلس النواب بالعطف الذي كان يرجوه له . وبعد بحث طويل ومناقشات عنيفة استقر قرار المجلس على جعل الاعتماد المالي المتعلق بالمصالح الملكية في المفوضية العليا عشرين مليون فرنك . وفي ٢٤ دسمبر وافقت اللجنة المالية في مجلس الشيوخ على هذا الاعتماد . بيد ان الجنرال الحي في طلب الزيادة واعداً بانتهاج خطة الاقتصاد في سائر ابواب النفقات فعادت اللجنة المالية في مجلس النواب الى النظر في الامر وفي جلسة ٢ يناير سنة ١٩٢٢ ابلغت الاعتماد الى خمسين مليوناً

وفي ٢٦ دسمبر سنة ١٩٢١ اقيمت في باريس حفلة تكريمية كبيرة للجنرال غورو فخطب فيها باسطاً الحالة في سورية ولبنان ومنوهاً بما تم فيهما من الاعمال. وقال في الرد على انتقاد بعضهم لارتباط النقد السوري واللبناني بالفرنك الفرنسوي ان الغرض من ذلك اتقاء خطر مناظرة الليرة العثمانية والجنيه المصري له . وقد فاته انه لو اقيم هذا النقد على قاعدة الذهب وضمنت الحكومة الفرنسوية للبنك السوري جزءاً من رأس ماله موازياً لما زاد من قيمة النقد عن مقدار الذهب المدخر في خزائنه ناسجة على منوال الحكومة الانجليزية عند ما تأسس البنك الاهلي المصري في سنة ١٩١١ لكفى ذلك البلاد شر المناظرة التي يوجس الجنرال خيفة منها ولأمنت خطر الاستهداف للخسائر المالية الباهظة التي لحقت بها من جراء تدهور الفرنك وانحطاطه ذلك الانحطاط العظيم الذي كاد يستنزف ثروتها ويذيب ماليتها ويقضي على حالتها الاقتصادية قضاء مبرما

فرنكلين بويون والجلاء عن قيليقية

وفي اثناء ذلك كان فرنكلين بويون قد اتم مهمته في انقره واتفق مع حكومة مصطفى كمال على اعادة قيليقية الى تركيا وجلاء الجيوش الفرنسوية عنها بعد ان تتخلى لها عما زاد عن حاجتها من الاسلحة والمعدات الحربية التي كانت في حيازتها هناك وانفقت اموالاً طائلة على اعدادها ونقلها من فرنسا الى الشرق لمحاربة الترك ورد غزواتهم عن هاتيك البلاد التي جاء تخلي فرنسا عن انتدابها فيها ضربة قاضية على سورية وطعنة نجلاء في صميم فؤادها . وعملا بهذا الاتفاق غادر الفرنسويون عينتاب ودخلها الترك في ٣١ دسمبر . وفي ٢ يناير سنة ١٩٢٢ جلت الجيوش الفرنسوية عن قيليقية . وفي ٣ منه عادت الادارة التركية اليها . وفي ٩ منه اذاعت شركة هافاس نبأ برقياً صادراً من بيروت بان خمسين الفاً من المسيحيين بينهم ٤٠ الف ارمني هجروا قيليقية . وفي ١٦ منه القى الجنرال غورو في بروكسل خطبة قال فيها ان القلق على مصير المسيحيين في قيليقية مبالغ فيه . وفي ٢٣ منه القى خطبة اخرى في باريس حاول فيها تسكين الخواطر وازالة ما علق في النفوس من اثر الاشاعات المتعلقة عن اضطهاد الترك للمسيحيين وللارمن خصوصاً في هاتيك البلاد حتى اكرهوا على هجر مواطنهم مستطرداً الى شرح الانتداب الفرنسوي لسورية ولبنان ومنوهاً بصدق ولاء السوريين واللبنانيين لفرنسا

هجرة الارمن من قيليقية

ومن سوء الحظ ان الوقائع لم تجيء مؤيدة لاعتقاد الجنرال غورو فان المسيحيين في قيليقية فوجئوا باتفاق فرنسا وتركيا وعودة الترك اليها فاخذوا على غرة وكانوا في عهد الانتداب الفرنسوي يعللون نفوسهم باطيب الآمال ويمنونها برغد العيش وحسن المآل . فجاء هذا الانقلاب مخيباً لآمالهم قاضياً على احلامهم وامانيهم ولا سيما انهم بعد ان تقلص ظل السيادة التركية في هاتيك البقاع وتحرروا من نير الترك ظهروا

بمظهر الماقتين للحكم التركي الكارهين لاعمال الطورانيين . وكان هولاء يرقبونهم عن كثب . ولم يتنبه الفرنسويون للامر ليعدوا له عدته وابرموا اتفاقهم مع القوم غير حاسبين لموقف المسيحيين ازاءهم حساباً وغير حافلين بما تجلى للعيان من مظاهر العداء الذي كان الترك يضمرونه لهم ويرقبون الفرص لصب جام سخطهم عليهم انتقاماً منهم على ولائهم للدولة المنتدبة وخيل اليهم ان تعهد الحكومة الكمالية بالسهر على راحة المسيحيين وصيانة حقوقهم كاف لتأمين هولاء على حياتهم واموالهم وممتلكاتهم فتخلوا لها عن دفة الحكم وجلواعن البلاد قبل ان يكون اولئك المساكين على بصيرة من امرهم ومصيرهم فهجروا مواطنهم مكرهين وخرجوا من البلاد لا يلوون على شيء تاركين بيوتهم واموالهم وممتلكاتهم غنيمة للترك شاكرين الله لتمكنهم من النجاة بنفوسهم . وقد اموا سورية ولبنان بعشرات الالوف وليس عليهم الا الملابس التي يرتدونها مع شيء من المال لا يفي بحاجتهم الا لبضعة ايام . فاضطر الفرنسويون ان ينفقوا على ايوائهم واطعامهم اموالاطائلة ووزعوهم على مختلف الانحاء في لبنان وسورية وكان نصيب لبنان منهم نحو مئة الف منهم زهاء ٤٠ الفاً نزلوا في بيروت . ولهولاء المهاجرين حديث طويل سنعود اليه في غير هذا المكان

سياسة روبردي كيه وعواقبها

وضع دستور لبنان الكبير واعلن وعقبه قانون المحاكم المختلطة وهو اختصاص قضائي جديد يوسع نطاق الامتيازات الاجنبية الى حد لا يتفق مع استقلال لبنان وحقه في الحكم الذاتي وجهر اللبنانيون باحتجاجهم عليه . وصدر قانون المجالس البلدية والجنرال غورو في باريس فجاء كل ذلك مؤيداً لما علق بالاذهان ورسخ في النفوس من امر روبردي كيه وهو انه كان في دور التجربة هذا الذي هو اول مرحلة من حياة الانتداب الفرنسوي الحاكم بامره القابض بيد من حديد على ازمة الاحكام المسيطر على الجليل والحقير من شئون البلاد وامورها . وكان دعاة الاستقلال التام من اعوان الملك فيصل وانصار الدعوة العربية واقفين للدولة المنتدبة بالمرصاد

يرقبون كل حركة من حركاتها ويتحينون الفرص السانحة لاثارة الخواطر عليها فتوسلوا باستياء اللبنانيين من دستورهم الجديد لاستئناف حملاتهم وتجلت حركة المعارضة لانتدابها في سورية ولبنان باتم مظاهرها وتجاوبت اصداء هذه الحركة في انحاء الشرق الادنى من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال فشملت فلسطين وشرق الاردن وحوران وداخلية سورية حتى حلب ودير الزور واقلقت خواطر المهاجرين من السوريين واللبنانيين في مصر واوربا واميركا فعقدوا الاجتماعات ورفعت احزابهم السياسية المعارضة لانتداب فرنسا الاحتجاجات الى الدول الاوربية وجمعية الامم طالبة الغاء انتدابها وغل يدها ناسبة اليها سوء التصرف في شئون البلاد المشمولة بانتدابها والتحكم في امورها ومرافقها طبقاً لما توحي اليها به مصالحها واغراضها. وانبرت الاحزاب الموالية لفرنسا لمعارضة خطة الساخطين عليها. وتذرع ملك الحجاز بهذه الحركة لتذكير دول الحلفاء بمطالبه فعهد في اول ابريل الى كاظم باشا الحسيني رئيس الوفد الفلسطيني وهو يومئذ في باريس ان يحتج الى مؤتمر الشرق الادنى على عدم وفاء الحلفاء بعهودهم فيما يتعلق بالبلاد العربية وبعبارة اصح على عدم تمكينه من انشاء المملكة العربية الكبرى التي كان يمني النفس بها.

وفي ٥ ابريل اولمت الجالية الفلسطينية في عاصمة السين وليمة كبرى للوفد الفلسطيني فخطب الخطباء داعين الى وحدة سورية وفلسطين ومقاطعة الدولتين المنتدبتين لهما لاتفاقهما على الفصل بينهما وتأييد الحركة الصهيونية التي لا تقوم على اساس وطيد وليس هناك من الاعتبارات التاريخية والسياسية والدينية ما يبررها ويقضي بتعزيزها.

وفي خلال ذلك تآمر بعض الناقمين على الدولة المنتدبة من البيروتيين على الفتك باسعد بك مدير الداخلية في دولة لبنان الكبير وهو مسلم جركسي انتقاماً منه على موالاته لها. وقد قتل في ٧ ابريل سنة ١٩٢٢ على باب المستشفى الفرنسوي حيث كان قد ذهب لعيادة صديقه هاشم بك مدير المعارف سابقاً في حكومة

دمشق . وثبت ان الجناة اثنان احدهما عبد الرحمن خالد وقد قبض عليه واميط اللثام عن سر المؤامرة

حادثة المستر كراين

ووصل الى دمشق المستر كراين المثري الاميركي الشهير وصديق الرئيس ولسن والبلاد تغلي غليان المرجل فتوسل القوم بمجيئه — وهو رئيس البعثة الاميركية التي تولت استفتاء السوريين واللبنانيين في سنة ١٩١٩ — للقيام بمظاهرة ضد فرنسا . فاخرج المستر كراين من البلاد واعتقل زعماء الحركة وعثر بين اوراق الدكتور عبد الرحمن شهبندر من كبار الزعماء على تحاويل مالية من توقيع المستر كراين فادعى انها اعانة مالية لاحدى المدارس الوطنية . واتخذت السلطة العسكرية الفرنسوية تدابير شديدة لقمع الحركة فاشتد سخط الدمشقيين وعظم الامر على تجارهم فعطلوا متاجرهم احتجاجاً عليها . وفي ١٥ ابريل اعلنت الاحكام العرفية في دمشق وحظر على الناس الخروج من منازلهم ليلاً . وفي ١٩ منه عقد فيها مجلس عسكري لمحاكمة المعتقلين فحكم عليهم بعقوبات مختلفة

وتطاير شرر الفتنة الى حمص وهي في مقدمة مراكز الدعاية العربية فاقيمت فيها مظاهرات عدائية خطيرة لولا مبادرة السلطة الى قمعها بحزم وشدة لافضت الى ما لا تحمد عقباه . وتواترت الانباء بان نار الفتنة اتصلت الى شرق سورية وان قبائل البدو هناك شدت الرحال الى الشمال .

عودة الجنرال غورو وتفاقم الحالة

وفي ٢٠ ابريل وصل الجنرال غورو الى بيروت عائداً من فرنسا وريح الفتنة تهب من كل جانب منذرة بالويل والثبور فعمد الى معالجتها بوسائل الارهاب فلم تغن الشدة فتيلا وزادت الخواطر هياجاً في الداخلية ولاح شبح الثورة في غير ناحية من انحاء البلاد السورية وحشد الجيش تأهباً للطوارق . وفي ٢٦ ابريل تجددت المظاهرات في دمشق فقمعت بقوة السلاح واعتقل نحو ١٥٠ تاجراً جزاء لهم على

اغلاق حوانيتهم وشل الحركة التجارية فازداد الاضطراب شدة واشفقت السلطة ان تتفاقم الحالة فاطلقت سبيل المعتقلين

وساء اللبنانيين في القاهرة ان يعامل الدمشقيون على هذا المنوال وهم جيرانهم ومواطنوهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم فاجتمع جمهور كبير منهم في مسرح حديقة الازبكية للاعراب عن عطفهم عليهم والاحتجاج الى الحكومة الفرنسوية على ما عوملوا به من الشدة في حوادث دمشق الاخيرة .

وفي ٣ مايو كان لهب الفتنة امتد الى بعلبك وهي متوسطة بين دمشق وحمص فاقيمت فيها مظاهرات كبيرة . وفي هذا اليوم نفسه تظاهر الدمشقيون بعد صلوة الجمعة ففرق الجنود شملهم . ولاح شبح الثورة في انحاء اخرى من سورية ولكن السلطة تأهبت التأهب الكافي الوافي لمعالجتها بكل صرامة واعد الجيش معدات القتال استعداداً للطوارىء

وفي ٦ مايو القى ملك الحجاز خطبة ضافية تسكيناً لثائر النفوس في مكة وتلطيفاً لوقع حوادث الشام فيها حاثاً قومه على الاعتدال والاعتصام بالصبر ناصحاً لهم ان يركنوا الى السكون ويتذرعوا بالفطنة قائلاً لهم : « ان لم تجد الوسائل السلمية نفعاً فهناك يكون هو وهم في حل من اية مسئولية تنجم عما يقضي به الشرف » .

وفي ١٥ مايو ارسلت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في مصر برقية الى لجنة الانتدابات في جمعية الامم تطلب فيها « الاعتراف باستقلال سورية ولبنان وفلسطين وسيادتها القومية وحقها في الاتحاد والغاء الانتدابات الحالية وجلاء الجنود الاجنبية والغاء تصريح بلفور » . وفي ١٦ منه ارسلت الى رئيس حكومة الولايات المتحدة الاميركية رسالة برقية تطلب منها « صيانة المبادىء السامية التي وضعتها فسخها المستعمرون من الفرنسويين والانجليز في سورية وفلسطين » . بيد ان جمعيات مصر السورية واللبنانية الموالية لفرنسا لم تقف مكتوفة اليدين ازاء الخطة التي انتهجتها لجنة المؤتمر السوري الفلسطيني فارسلت في ٢٧ مايو برقية ضافية الى مجلس

جمعية الامم تطلب اليه فيها تأييد الانتداب الفرنسوي في سورية ولبنان منعاً للفوضى وتوطيداً للامن .

ولاء اللبنانيين للدولة المنتدبة

اما اللبنانيون فادركوا ان وراء الاكمة ما وراءها فكان ما وقع من الحوادث الفجائية التي المعنا اليها في ما تقدم — ولم يكونوا حين جهروا باستيائهم من دستورهم الجديد ليتوقعوها او يحسبوا لها حساباً — باعثاً لهم على الوقوف موقف الحذر والتروي فعمدوا الى خطة التريث والانتظار ريثما تستقر الحالة واخلدوا الى السكون متغافلين عن مطالبهم الى حين لئلا يؤول عملهم و يفسر بغير معناه الصحيح ويخرج مسلكهم تخريجاً لا يتفق مع تقاليدهم ونزعات نفوسهم الحقيقية ويعزى اليهم ما هم براء منه ويعيدون عنه بعد الثريا عن الثرى من الجنوح الى مناوئة فرنسا والمعارضة في انتدابها . فاقتصرت احزابهم السياسية الكبرى ولا سيما في مصر وباريس واميركا على الاحتجاج الى الحكومة الفرنسوية ذاتها على السياسة التي انتهجت في لبنان وافضت الى سن دستور له هو دون ما يستحقه ويلتئم مع حالته ورقيه المأثور لانه اقرب الى انظمة الحكومات الاقراطية الرجعية منه الى دساتير الامم الحية الراقية ذات الحكومات الديمقراطية البرلمانية راجية من هذه الحكومة ان تعدل هذا النظام وتصلح ما فيه من عيوب مراعاة لمصلحة لبنان التي هي مصلحتها واحتفاظاً بمودة اللبنانيين التي لا غنى لها عنها اذا هي ارادت الاحتفاظ بنفوذها في ارض فينيقية وما جاورها من الاقطار التي لاحفاد الفينيقين صلة بها ومصالح فيها . وفي مقدمة الجمعيات التي احتجت على هذا النظام « لجنة الدفاع عن حقوق لبنان الكبير في مصر » وهي التي خلفت اللجنة اللبنانية السورية التي تألفت في اثناء الحرب برئاسة عبد الله باشا صفير وطلبت انتداب فرنسا لسورية ولبنان . وقد قدمت احتجاجها هذا الى حكومة باريس في اوائل ابريل سنة ١٩٢٢ على يد المسيو هنري جيار الوزير المفوض والمعتمد السياسي للجمهورية الفرنسوية في مصر ونشر في الجورنال دي كير في ١٠ ابريل

وفي المقطم في ١٣ منه وجاء بافضل النتائج على رغم استياء الجنرال غورو منه وتأويله له على وجه لا يتفق مع ما هو مأثور عن واضعيه من صدق الولاء لفرنسا والتفاني في حب لبنان

موقف الجنرال غورو بازاء المستائين

وفي الواقع ان الجنرال غورو توسل بحفلة الاستقبال التي اقيمت له بعد القداس الحافل الذي حضره في كنيسة السريان الكاثوليك في بيروت صباح يوم ٣٠ ابريل ليعرب عن استيائه من احتجاج اللبنانيين على دستورهم الجديد فرد على ترحيب بطريرك السريان به بخطبة ضافية في جملة ما جاء فيها قوله « انه دهش لمطالب بعض المسلمين والمسيحيين الذين تناسوا ما بذلته فرنسا من الدماء والاموال وان فرنسا تريد ان تحافظ على ثمرة تضحياتها وتريد الذود عن حرية لبنان وسورية ودرء الاخطار التي تهددهما من الداخل والخارج وتنوي توسيع دائرة الانظمة التي وضعتها لهما تدريجاً . وان الخطر الخارجي الذي يرجع الى معارضة اعداء الانتداب كاد يقضي منذ عامين على حرية البلاد ويوردها موارد الهلكة والدمار فانقذها منه ولذلك لا يرى مسوغاً لتظاهر بعض السوريين واللبنانيين ضد فرنسا وتحاملهم على رجال الانتداب وتشهيرهم بهم ولا سيما اولئك الموجودين منهم في مصر وان زمن التساهل والتغاضي مضى وانقضى اوانه وحانت ساعة العدل والصراحة »

وخطب في حفلة وضع الحجر الاول في بناء المستشفى الفرنسوي في ٣ مايو فقال ما مؤداه : « عدتُ من فرنسا فاستغربت انباء الهياج في الداخلية ودهشت من استياء اللبنانيين خصوصاً ان في هذا الشهر يكون لهم مجلسهم في حين ان سورية لم تحصل على شيء من هذا وما يقال عنها يقال مثله عن فلسطين ومصر ذاتها . ونظام لبنان ليس نظاماً ابدياً بل هو وقتي »

ومما زاد في استياء المندوب السامي وحداه الى ان يحسب حساباً لاحتجاج اللبنانيين ان وفداً من اعيان بيروت وزعماء طوائفها زار المقر البطريركي الماروني

في ٧ ابريل وتباحث مع غبطة البطريرك وجمع من المطارنة والرؤساء الدينيين في مسألة الاحتجاج على نظام لبنان الى الدول وجمعية الامم اذا ابت الحكومة الفرنسوية تعديله على وجه يرضي اللبنانيين واتصل نبأ هذا الاجتماع بالجنرال غورو قبل ان يعود من فرنسا ولذلك صرح بعض المقامات الفرنسوية العليا في الشرق على اثر ما كان من اجتماع بكركي واحتجاج اللبنانيين في القطر المصري وفي طليعتهم لجنة الدفاع عن حقوق لبنان الكبير بما يؤخذ منه « ان الجنرال غورو ينوي بعد وصوله الى بيروت في ٢٠ ابريل ان ينشر بيانًا صريحًا لازالة سوء التفاهم واعداً بتوسيع اختصاص المجلس النيابي ومصرحًا بان حاكم لبنان يكون لبنانيًا وان فرنسا عازمة على السير بلبنان في سبيل الاستقلال تدريجًا »

حجة المستائين

وقد اراد الجنرال ان يمهد لهذا البيان بالخطبتين المشار اليهما آنفا و بغيرهما من الخطب التي القاها قبل افتتاح المجلس النيابي لئلا يعد ذلك اقراراً منه بحبوط سياسته وهي في الحقيقة سياسة المسيو روبر دي كيه الذي كان كل شيء في عهده وكان يرى الامور بعينه وعيون فئة من مريديه واتباعه و يسمع الشكوى بآذانهم ولو اشرف على الحالة بنفسه لتسنى له الوقوف على موطن العلة ومكمن الداء ولعرف ان احتجاج اللبنانيين وقتئذ لم يكن مقتصراً على النظام الابتر المشوه الذي اتحفهم به سكرتير المفوضية العام بل تناول اموراً اخرى خطيرة نظير الضرائب وفي مقدمتها ضريبة الطرق التي زادت على ما كانت عليه قبل الحرب اضعافاً مضاعفة وضريبة المباني ولم يكن لها اثر قبل الحرب وضرائب الدخولية وغيرها مما احدث في عهد الانتداب لسد نفقات لا طائل تحتها ولا عهد للبلاد بها من قبل واهمها نفقات الادارة وفي جملتها مرتبات الموظفين التي فاقت مرتبات امثالهم في اغنى دول العالم ونفقات السيارات وكانت تناهز ٧٥ الف ليرة اي ما يوازي ميزانية لبنان قبل الحرب .

وفي جملة ما كان اللبنانيون يحتجون عليه ويعارضون فيه كثرة عدد الموظفين الفرنسويين وكاد عددهم يزيد على ٦٠٠ موظف . وحصر السلطة في ايديهم وتركهم يتصرفون في شئون البلاد ومرافقها تصرفاً مطلقاً بلا حسيب ولا رقيب . واغفال ولاة الامور للمسائل الاقتصادية مع شدة افتقار البلاد الى معالجتها والعناية بها . واهمالهم للشئون الزراعية . وانفاق الاموال على ايفاد الرسل الى الخارج لبث الدعاية الفرنسوية مع انه لم يكن هناك من حاجة الى ذلك لو احسن تصريف الامور ووضعت الاشياء في مواضعها . وتقليد مناصب الدولة ووظائفها للذين عرفوا بفساد الاخلاق والضمائر والاستسلام الى مشيئة الحكام والاعراض التام عن الذين يتوسم الخاص والعام فيهم الخير للبنان وسكانه خشية ان يبثوا في البلاد روح الحرية ويضرموا في صدور اللبنانيين جذوة الوطنية فينقلبوا على الدولة المنتدبة مطالبين بحقوق لم يكن آن الاوان في اعتبار بعض رجالها للاعتراف للبنان بها . وتخويل البنك السوري الحق المطلق في اصدار ورق النقد على اساس الفرنك مع ما كان عليه من التقلب والانحطاط حتى فقدت البلاد من جراء ذلك ومن حظر التعامل بالذهب واستئثار هذا البنك بذهبها وتصديره الجانب الاكبر منه الى فرنسا زهاء ٧٥ في المئة من ثروتها وهو ما كان له اكبر شأن في بث روح العداء ضد فرنسا في سائر انحاء البلدن المشمولة بانتدابها وغل ايدي اعوانها وانصارها عن العمل لترويج دعوتها وعقل السنتهم عن النطق بحمدها واذاعة فضلها والاشادة بذكر حسناتها ومآثرها . وهناك مسألة الريجي وقد ايدتها الدولة المنتدبة كل التأييد على رغم احتجاج اللبنانيين وعلى رغم الغائها في العراق وفلسطين . ومسألة حصة البلاد مما آل عليها من ديون الدولة العثمانية وهو ما يعده السوريون واللبنانيون مجحفاً بحقوقهم لاسباب سنبسطها فيما يلي . ومسألة هجرة الارمن الى لبنان وسورية وتركهم يستنزفون دماء البلاد من غير ان يمكنها ولاة الامور من الانتفاع بهجرتهم هذه من الوجهة الاقتصادية حتى عد

نزولهم فيها عبئاً ثقيلا عليها كادت ترزح تحته . ومسألة الجمارك واطلاق ايدي الموظفين الفرنسويين في امورها واعمالها اطلاقاً مهد السبيل الى التلاعب في وارداتها . وغير ذلك من المسائل التي يشكو اللبنانيون والسوريون منها وليس هذا مقام التبسط فيها . وهذا علاوة على ما عانته هذه البلاد في اثناء الحرب من الشدائد والاهوال التي ذهبت بزهرة شبيبتها وصفوة رجالها وخلفتها في حالة من الخراب والدمار والفقر والهوان لم يرو التاريخ لها مثيلا في عصر من عصورها المظلمة. كل ذلك من اجل فرنسا ورعاية لعهود المودة والولاء للامة الفرنسوية الكريمة التي تربطها بهذه البلاد تقاليد مجيدة موروثة تحرص عليها حرصها على مفاخرها التاريخية ومآثرها الخالدة

فبعد ان كان اللبنانيون اذن وطنوا النفس على القاء العقبات في سبيل الداعين الى انتخاب المجلس التمثيلي ومقاطعته اذا تم انتخابه احتجاجاً على النظام الاساسي الذي كان مزمعاً ان يقام على قواعده و بعد ان كان رؤساء الدين والاعيان اتفقوا في اجتماع بكركي المشار اليه آنفاً على الاحتجاج الى الحكومة الفرنسوية وجمعية الامم على هذا النظام الغريب وارجأ حاكم لبنان موعد الانتخابات البلدية لعدول المرشحين لها عن الاشتراك فيها — بعد كل ذلك عادوا بازاء الموقف الذي وقفه اعداء الدولة المنتدبة وخصومها فانصرفوا عن خطتهم هذه ناهجين نهجاً جديداً تقتضيه الحالة وتمت الانتخابات في جو هادىء لم يعكر صفوه سوى بعض سحب شفافة متقطعة ناشئة عن معارضة المهاجرين في مصر واميركا وغيرها [1] وما لبثت ان لاحت

---

(١) كان اللبنانيون المهاجرون الذين جاهدوا جهاداً كبيراً في سبيل القضية اللبنانية يرجون ان تخصص لهم بضعة مقاعد في اول مجلس نيابي قام في لبنان في عهد الانتداب الفرنسوي الذي كانوا اول من طلبه لبلادهم ماعدا فئة صغيرة منهم فخاب رجاؤهم . فقد اغفل رجال الانتداب شأنهم لاسباب سياسية ليس هذا مقام لبسطها ونشر المرحوم داود بك عمون رئيس اللجنة الادارية يومئذ مقالة في جريدة الوطن البيروتية في ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٢ معتذراً عن هذا الاغفال بقوله: « انه لا الولايات المتحدة ولا فرنسا ولا غيرهما من الدول الكبيرة تشرك من تزح عنها من اتباعها في الانتخابات الوطنية... وان الافرنسي او الاميركي يفقد حق الانتخاب بمجرد انتقاله من مدينة او ناحية ضمن حدود وطنه ... وانه ليس في امكان اللبنانيين ان يحققوا ما عجزت عنه اعظم الدول سطوة ونفوذاً » فزاد ذلك في

للانظار حتى تبددت بما هب عليها من نسمات الوعود اللطيفة المغرية المعللة للنفوس باطيب الآمال وقد تلقاها اللبنانيون بروح الثقة خصوصاً انها صادرة من الجنرال غورو نفسه وهو الرجل الذي احرز عطفهم ومودتهم وملك كل ثقتهم

الحياة السياسية في لبنان

وفي ٢٥ مايو سنة ١٩٢٢ افتتح المجلس النيابي الاول في دولة لبنان الكبير[1] والقى الجنرال غورو فيه خطبة رسمية رحب فيها بنواب الشعب اللبناني وانبأهم انه عدّل الدستور على وجه يرجو ان يكون باعثاً على ارتياحهم . وفي الواقع ان التعديل الذي ادخله على القرار الموسوم بالرقم ١٣٠٤ والمنطوي على نظام لبنان الاساسي انما هو نص قانوني صريح متمم له وهو يقضي بتوسيع اختصاص المجلس النيابي بحيث يتناول جميع المسائل المتعلقة بدولة لبنان الكبير ويخوله الحق في درسها وابداء رأيه فيها والفصل في ما يخرج منها عن دائرة اختصاص المندوب السامي الفرنسوي . وعدّل النص المتعلق بسن القوانين واصدار القرارات الرسمية التي لها قوة النص القانوني بكيفية تحظر وضع هذه القوانين والقرارات موضع التنفيذ قبل ان

استياء اللبنانيين المهاجرين وعتبوا على المسئولين عن مستقبل الوطن من مواطنيهم ولكنهم وقفوا عند هذا الحد لئلا يتذرع اعداء الدولة المنتدبة بموقفهم السلبي تجاه وطنهم الاول الذي يفدونه بارواحهم لقضاء ماربهم من هذه الدولة ومن لبنان نفسه . وقد كنا نحن رشحنا نفسنا عن كرسي في المجلس النيابي اللبناني مسوقين الى ذلك بما رأينا من تنشيط المندوب السامي بذاته لنا على مواصلة العمل في سبيل لبنان وهو ما جاء مطابقا لما كنا نمني النفس به من وقف الشطر الباقي من حياتنا على خدمته فرأينا بازاء هذه الحالة ان نتخلى عن كرسي النيابة لسوانا من الذين يحسنون خدمة البلاد من هذه الناحية كما يتضح ذلك من مقالة لنا في جريدة الاهرام في ١٧ فبراير سنة ١٩٢٢

١) ان كراسي النيابة في المجلس النيابي اللبناني وزعت بحسب النسبة العددية بين طوائف لبنان على الوجه الآتي :

لمدينة بيروت المستقلة استقلالا اداريا خمسة كراسي . لمدينة طرابلس المستقلة استقلالا اداريا كرسي واحد . للواء جبل لبنان ثمانية كراسي . للواء لبنان الشمالي اربعة كراسي . للواء لبنان الجنوبي ستة كراسي . للواء البقاع ستة كراسي . والمجموع ٣٠ كرسيا . وقد اصاب الموارنة ١٠ كراسي — والمسلمين السنيين ٦ كراسي والمسلمين الشيعيين ٥ كراسي — والروم الارثوذكس ٤ كراسي — والروم الكاثوليك كرسيان — والدروز كرسيان — وطوائف الاقليات كرسي واحد.

يكون المجلس درسها وطرحها على بساط البحث . وكذلك الضرائب فقد حظر هذا التعديل فرض شيء منها او زيادة شيء عليها بغير موافقة المجلس. وخوله ايضاً الحق ان يتناقش في جميع ابواب الميزانية بغير ان يكون للمندوب السامي ان يدرج النفقات الاجبارية فيها الا اذا ابى المجلس تقريرها

ان هذا البيان لمن اكبر الادلة — كما يقول صفير باشا في كتابه « الانتداب الفرنسوي في سورية ولبنان » — على انه لو ترك الجنرال غورو يعمل بحسب شعوره والهامه لبرز دستور لبنان بغير شكله الحاضر ومنطوقه المعلوم ولو انضم اليه رجال عاملون من اهل الخبرة والكفاءة وذوي المروءة والنزاهة وازيل من طريقه ما كان يعترض سيره فيه من العقبات الناشئة عن مضاعفة الوظائف وتعدد الاختصاصات لكان في الامكان اجتناب اغلاط غيرى غير التي وقعت واعادة الامن بسرعة الى نصابه وتخفيض الجيش وتوفير جانب كبير من النفقات العسكرية واجراء الاصلاح على منوال يفضي الى الاقتصاد في مصروفات الدوائر المدنية على اختلاف طبقاتها . نقول لو انتهجت هذه السياسة الرشيدة لكان شأن الدولة المنتدبة مع سورية ولبنان غير شأنها هذا الذي بسطناه في ما تقدم وغير شأنها في ما تعاقب بعد عهد الجنرال غورو عليهما من الادوار الحرجة وتوالى من الازمات السياسية والاقتصادية القاصمة للظهور المثبطة للعزائم مما سنبسطه في ما يلي .

سياسة القمع الجديدة

بيد ان حوادث دمشق وغيرها من المدن السورية التي اقتفت اثرها ونسجت على منوالها لم تكن لتقف عند الحد الذي اشرنا اليه فقد جرّت في ذيولها حوادث اخرى اكرهت السلطة الفرنسوية على معالجتها باساليب جديدة وبشيء من الحزم والشدة . وفي جملة التدابير الحازمة التي اتخذتها وقتئذ انها فتشت في اواخر مايو عددا كبيراً من بيوت اعوان الحزب العربي وغيرهم من المشتبه في امرهم من اهل دمشق وحمص وحلب فعثرت في كثير منها على اوراق يؤخذ منها ان لاصحابها ضلعاً مع

المحرضين على الفتنة والمتآمرين على الدولة المنتدبة فنفت نحو ستين منهم الى خارج حدود البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي . وهجر دمشق كثيرون ممن لم تكن السلطة تأمن جانبهم من تلقاء انفسهم وبينهم الآنسة نازك العابد الادبية المعروفة . ووقع بين الامير سعيد الجزائري ورئيس حكومة سورية خلاف اكره الامير على هجرها الى القدس في اواخر يونيو .

وفي منتصف يوليو (تموز) اضرب عمال الترامواي الكهربائي في بيروت عن العمل وخيل الى سكانها ان المسألة محصورة في خلاف على الاجور وبعض مطالب معقولة تقضي المروءة بشد ازر العمال ارغاماً للشركة على تحقيقها فظهروا بمظهر المتضامنين مع العمال وقاطعوا الشركة فزادت شقة الخلاف اتساعاً وفاتهم ان هناك حركة شيوعية اتخذ دعاتها معسكر العمال اداة لتقويتها وتعزيزها توطئة لاضرام نار الفتنة في عاصمة لبنان الكبير وقلب نظام الحكم فيه وان انصارها في البلاد ليسوا بغرباء عن طلاب الاستقلال التام واعداء الانتداب من الوطنيين السوريين واعوانهم في بيروت وغيرها من مدن سورية ولبنان

انتقاض سلطان بك الاطرش

وهناك حوادث اخرى لا يسع المقام للافاضة فيها وحسبنا ان نذكر منها حادثة سلطان بك الاطرش وهي اهمها جميعاً لصلتها الوثيقة بما تلاها من الحوادث التي افضت الى ثورة سنة ١٩٢٥ . وهي تتلخص في ان الرجل اجار ادهم خنجر [1] احد رجال العصابة التي حاولت اغتيال الجنرال غورو على طريق القنيطرة وهو ذاهب اليها لزيارة الامير محمود الفاعور على نحو ما بسطناه في ما تقدم

---

١) ادهم خنجر شيعي من جبل عامل كان من رجال العصابات النيصالية التي اضرمت نار الفتن في الجنوب سنة ١٩٢٠ ومن المأثور عن جده انه حمى المسيحيين في مذابح سنة ١٨٦٠ ولجأ كثيرون منهم الى بيته فأواهم واحسن معاملتهم وحفظوا له هذا الجميل ذاكرين فضله ومروءته . وبعد موته ظل بيته هذا عند المسيحيين حرماً يجلون قدره الى اليوم وينظرون اليه نظرهم الى اثر تاريخي نفيس له شأنه ومقامه في تلك الحوادث المشئومة

ورغبت السلطة اليه ان يسلمه فابى على رغم توسط بعض اقاربه وغيرهم في الامر وفي طليعتهم سليم باشا الاطرش امير جبل الدروز . وجاهر بالعصيان فكبر الامر على الجنرال غورو وجرد حملة عسكرية على جبل الدروز فجمع رجاله ونازلها في غير واقعة واستبسل في قتالها استبسالاً يبعث على الاعجاب بشجاعته النادرة فكان يهاجم الدبابات شاهراً سيفه غير مبال بما كانت تحمله من معدات الهلاك ولا مكترث لوابل رصاصها الذي كانت تصبه عليه من فوهات رشاشاتها . ومما يدعو الى الدهشة انه مع ما استهدف له من المخاطر والاهوال في منازلة الفرنسويين خرج من ميدان الطعن والضرب سليماً بعد ان عانوا الشدائد في قمع الفتنة التي اثارها عليهم وبلغ من اعجاب الجنرال غورو ببسالته انه بعد ان كان المجلس العسكري حكم بالموت عليه وعلى انصاره من زعماء الدروز الذين اشتركوا في هذه الثورة اصدر امراً بتوقيف تنفيذ الحكم رغبة منه في اجتذابه الى جانبه والظهور امام الرأي العام السوري بالمظهر الذي يليق بمقام دولته ويتفق مع ما هو مأثور عنه من الحلم والتسامح حيثما تدعو الحاجة اليهما . وما اجمل العفو عند المقدرة متى كان من قبيل وضع الشيء في محله .

المسكنات الوقتية وعواقبها

وانقضى خريف سنة ١٩٢٢ والجنرال غورو منصرف الى معالجة الحالة بالمسكنات الوقتية عاملا على اصلاح ما افسدته السياسة الحرقاء التي جرى عليها نفر من رجال الانتداب المسئولين عن شئون البلاد وامورها مستعينين على ترويجها بطائفة من ارباب المقاصد الملتوية والغايات الشخصية الذين يجرون مع كل ريح ويجارون كل ذي سلطان يستأنسون به ويركنون اليه . بيد انه ظل مصراً على الاعتقاد بان الاخذ بسياسة الحلم والمرونة ومجاملة الزعماء وذوي الكلمة المسموعة في البلاد خير من انتهاج سياسة الشدة والارهاب وهو ما يستدعي الانفاق عن سعة على الهدايا والهبات والولائم والحفلات على نحو ما فعله في ما سبق ولا سبيل الى ذلك الا اذا وسع عليه البرلمان الفرنسوي وبسط كفه في الاعتمادات المالية الخاصة بنفقات

الانتداب. وقد سبقنا فبسطنا الاسباب التي تجعل كفة الضرر في انتهاج هذه السياسة في بلاد نظير البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي ترجح كفة الفائدة وتبعث على انتهاج خطة الاعتدال في هذه النفقات وفي معاملة الزعماء الحقيقيين والذين يدعون الزعامة وهم ليسوا في العير ولا في النفير. فرأى لذلك ان يعود الى فرنسا قبل ان يبدأ البرلمان في درس الميزانية جرياً على عادته في كل سنة املاً منه بالحصول على ما كان يمني النفس به من الاموال فيستعين بها على متابعة سياسته وادراك اغراضه ويتم مهمته السلمية الاصلاحية في البلدان المشمولة بانتداب دولته على منوال يخلد ذكره عند السوريين واللبنانيين ويجعل له بين رجال الاصلاح مقاماً يضاهي مقامه الرفيع بين رجال الحرب. وفي ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٢ ابحر من بيروت عائداً الى باريس تاركاً مقاليد الامر بيد الموسيو روبر دي كي وهو يعلل النفس بالعودة قريباً لاستئناف عمله واحتفل بتوديعه احتفالا كبيراً

عودة الجنرال غورو الى باريس

وصل الجنرال غورو الى عاصمة السين والبرلمان الفرنسوي يدرس الميزانية وزعماء المعارضة في المجلسين يتأهبون لانتقاد سياسته واستمالة الاكثرية البرلمانية الى تخفيض نفقات الانتداب وابلاغ الاعتماد المخصص للمفوضية العليا في بيروت الى ادنى حد مستطاع مستندين في تأييد طلبهم هذا الى وعد الجنرال غورو سابقاً بالاقتصاد في المصروفات على اختلاف ابوابها والى تذمر الممول الفرنسوي وشكواه من كثرة الضرائب وشدة وطأتها عليه حتى كاد يرزح تحت عبئها الثقيل. ولم يسع الحكومة بازاء ما شهدت من اصرار المجلسين على تنقيص هذا الاعتماد الا الاذعان لمشيئتهما واصر الجنرال على رأيه متهدداً باعتزال منصبه واذ رأى ان لا مناص من الرضوخ لادارة البرلمان كف عن المعارضة ولكنه استقال من منصب المندوب السامي ورأت الحكومة ان تنتفع بخبرته وسعة معارفه الفنية وصفاته الجليلة الممتازة فعينته حاكماً عسكرياً لباريس مع بقائه عضواً في مجلس الحرب الاعلى. وظل منصب المندوب

السامي خالياً الى اواسط ابريل سنة ١٩٢٣ فعين له الجنرال فيغان الحالة بعد استقالة الجنرال غورو

وفي اثناء ذلك ظلت الخواطر في البلدان الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي على سابق عهدها من القلق والاضطراب ولا سيما في الداخلية حيث انتهز اعداء الدولة المنتدبة فرصة تخلف المندوب السامي في باريس لدس الدسائس لها ونصب المكائد لاعوانها ومريديها ونشط المعارضون لانتدابها من المهاجرين للعمل متوسلين بانعقاد مؤتمر لوزان للسعي الى احباط آمالها وعرقلة اعمالها . وتنبه اللبنانيون ولاسيما المهاجرون منهم لما في اغفال ذكر لبنان في مؤتمر لوزان الذي كان منعقداً وقتئذ بعد اغفاله في مؤتمر سان ريمو من الخطر على القومية اللبنانية وكانت جمعياتهم السياسية في مصر ترقب اعمال المؤتمر بمزيد الاهتمام وراعها ما رأته من تعمد الدول ادماج المسألة اللبنانية في المسألة السورية على ان تحل معها على يد الدولة المنتدبة وتحت مسئوليتها من غير ان يكون لها في اعتبارهن منزلة مخصوصة تجعل لها شأناً في الاتفاقات الدولية . فعقدت في ٢٦ يناير سنة ١٩٢٣ اجتماعاً كبيراً استقر الرأي فيه على توجيه نظر المؤتمر الى هذه المسألة بالبرقية الآتية :

«الى المسيو بارير رئيس الوفد الفرنسوي واللورد كرزن رئيس الوفد البريطاني والمركيز غاروني رئيس الوفد الايطالي وعصمت باشا رئيس الوفد التركي — بمؤتمر لوزان :

« ان اللبنانيين المجتمعين اليوم بمصر يجددون باسمهم وباسم مواطنيهم في لبنان الطلبات التي ارسلت سابقاً الى الدول على اثر اتفاق سان ريمو فان اغفال ذكر لبنان في ذلك الاتفاق كان اشبه شيء بالقضاء على القومية اللبنانية التي تمكن اللبنانيون من الاحتفاظ بها على كر الاجيال . ولا يمكن ان يعد حل المسألة السورية والمسألة الفلسطينية حلا للمسألة اللبنانية . لذلك نلتمس الاعتراف الرسمي في معاهدة الصلح باستقلال دولة لبنان في حدودها الحالية

«ان هذا الاستقلال الذي اعلن واعترف به مراراً لم يسجل بعد الحرب في صك دولي واصبح مصير بلادنا مبهماً من جراء هذا الاغفال . فمن شأن مؤتمر لوزان المجتمع الآن لتسوية مسائل الشرق المختلفة ان يثبت بصفة قاطعة نهائية استقلال لبنان بحدوده الحالية

« هذا وينبغي ان لا يبرح عن البال انه لدى توزيع الدين العثماني العام على الولايات المفصولة عن تركيا يجب ان لا يتحمل لبنان شيئاً من ذلك الدين بل يجب ان يعطى ما يستحقه من التعويض الناشىء عما له من المتأخرات على الخزانة العثمانية وهي المتأخرات التي طالما طالبنا بها

« فلنا وطيد الامل بعدل الدول المجتمعة في لوزان لتحقيق هذين المطلبين المقدمين باسم شعب كان دائماً في طليعة الحضارة في الشرق »

وارسلت الى رئيس المجلس التمثيلي اللبناني في بيروت البرقية الآتية :

« اللبنانيون المجتمعون اليوم ابرقوا الى مندوبي الدول بمؤتمر لوزان طالبين الاعتراف رسمياً ونهائياً في معاهدة الصلح بلبنان كدولة مستقلة بحدودها الحالية لان سكوت المعاهدات عن استقلالنا يترك مسألتنا معلقة . وطلبوا ايضاً عدم تحميل لبنان شيئاً من الدين العثماني لما للبنان من المتأخرات في ذمة الدولة كما هو معروف لديكم . فاملنا وطيد ان المجلس يؤيد هذين المطلبين بقرار رسمي يبلغه الى الدول ويقف وقفة المدافع عن مطالب الامة واستقلالها وحقوقها »

وذكرت ما لغبطة بطريرك الموارنة من اليد الطولى في انشاء دولة لبنان الكبير والمساعي الفعالة في تأييد استقلالها فارسلت اليه التلغراف الآتي :

« ارتاح لبنانيو مصر الى احتجاج غبطتكم على المساعي المبذولة لتضييق حدود لبنان وابرقوا الى مؤتمر لوزان والى المجلس التمثيلي طالبين تسجيل استقلال لبنان بحدوده الحالية في معاهدة الصلح وعدم تحميل لبنان شيئاً من الدين العثماني . نحن نذكر لكم جهادكم ونأمل مواصلة مساعيكم الوطنية

جمعية الاتحاد اللبناني جمعية لبنان الفتى جمعية المساعي اللبنانية

الدين العثماني وتوزيعه

وللدين العثماني حكاية طويلة تلخص في مايأتي :

كان مجموع الدين العثماني في شهر مارس سنة ١٩١٥ زهاء ١٥٣ مليون ليرا عثمانية منه ١٤٢ مليون ليرا من الديون البعيدة الآجال و ١١ مليوناً من الديون السائرة — وهذا علاوة على القرضين المضمونين بجزية قبرص والويركو المصري — وبعد ان وضعت الحرب اوزارها وعادت الدولة العثمانية الى نشر ميزانيتها بلغ مجموع الدين نحو ٥٠٠ مليون ليرا بعد ان يضاف اليه نحو ٥٠ مليوناً قيمة ما يصيب الشركات الاجنبية والرعايا الاجانب من التعويضات عن الخسائر التي لحقت بهم في اثناء الحرب .

اما القسط السنوي الذي كانت حكومة الاستانة تدفعه قبل الحرب الى مجلس الديون العمومية فلم يكن يزيد على ٦٫٦٨٠٫٠٠٠ ليرا فرفعه ازدياد الدين الى مايزيد عن ثلاثة اضعافه هذا اذا لم يحسب حساب لما اصاب ميزانية تركيا من العجز السنوي الذي كان على ازدياد مطرد . وقد كانت الحكومة العثمانية تدفع الاقساط السنوية بورق النقد العثماني على رغم ان قانون سنة ١٨٨١ ينص صريحاً على وجوب دفعها ذهباً وهذا الورق هبط اليوم الى ما دون ربع قيمته الرسمية وهذا ما حدا حملة سندات الدين السابق للحرب الى الاصرار على تقاضي فائدة سنداتهم على قاعدة الذهب .

وقد طال الاخذ والرد بين الحلفاء وتركيا على هذه المسألة الى ان استقر الرأي على ان كل دولة تحصل على نصيب من بلاد الدولة العثمانية تتحمل نصيبها من الدين على نسبة مجموعه وهذا ما عده سكان البلدان العربية التي انفصلت عن تركيا مجحفاً بحقوقهم لانه لم يصبهم شيء من فوائد القروض التي عقدتها الحكومة العثمانية فان هذه القروض انفقت في قاعدة السلطنة والاناضول وعلى سكة حديد بغداد وانفق جانب منها في التأهب للحرب التي جرت الخراب على سورية ولبنان واهلكت ثلث سكانهما

وانتدبت المفوضية العليا في بيروت اوغست باشا اديب لمهمة الدفاع في مؤتمر لوزان عن حقوق لبنان فيما يتعلق بحصته في الدين العثماني وتضاربت الاقوال في مهمته هذه فوضعت بياناً وافياً في شأنها جاء فيه ما خلاصته :

« ان ممثل لبنان الكبير لدى الوفد الفرنسوي في مؤتمر لوزان كانت مهمته باعتبار انه خبير فني احاطة الوفد المذكور بالوثائق والمستندات اللازمة المتعلقة بالجزء الذي يصيب لبنان الكبير من الدين العثماني العام و بالمبالغ التي يمكن ان تطالب بها الحكومة التركية لتعويض اللبنانيين من الاضرار والخسائر التي لحقت بهم في اثناء الحرب العظمى .

« اما الامر الاول فقد تقرر في شأنه ان توزيع رأس المال الاسمي للدين المذكور والاقساط السنوية المتعلقة به سيكون مبنياً على قاعدة متوسط دخل الاراضي التي سلخت عن السلطنة العثمانية بالنسبة الى متوسط مجموع دخل السلطنة في السنوات المالية ١٩١٠ — ١٩١١ و ١٩١١ — ١٩١٢ . فاذا فرضنا مثلاً ان عدد ١٠٠ يمثل متوسط مجموع دخل السلطنة في السنوات المالية المذكورة وان رقم ٣ وثلث يمثل متوسط دخل الاراضي التي ضمت الى لبنان في المدة نفسها فيكون نصيب لبنان الكبير بناء على هذا الافتراض واحداً من ثلاثين من الدين العثماني والاقساط المختصة به . وسيعين مجلس الديون العثمانية العامة المبلغ العائد على كل دولة من الاقساط المختصة بالدين ثم تنعقد في باريس لجنة لتعيين كيفية توزيع رأس المال الاسمي للدين المذكور . وموعد استحقاق الاقساط اول اذار سنة ١٩٢٠ وسيخصص لايفائها ما جبته ادارة الديون العمومية منذ التاريخ المذكور

« وحكومة لبنان تطلب ان يستنزل من حصة لبنان الكبير في الدين العثماني العام مبلغ يوازي ما على الحكومة التركية للبنان القديم من الدين الذي نشأ عن عجز ميزانيات لبنان القديم في سنوات ١٨٧٨ الى سنة ١٩١٤ وتبلغ قيمة ذلك ١٢١٢٦٣ ليرة عثمانية

« على ان الاقساط التي تصيب لبنان الكبير من الدين العثماني هي دون الموارد المخصصة فيه لهذا الدين و بذلك يفيض مبلغ يخصص لاعمال المنافع العامة ولانهاض البلاد من الوجهة الاقتصادية .

« واما التعويض فقد تقرر ان يغض النظر عنه ولكن تركيا تخلت للحلفاء عن مبالغ الذهب التي كانت قد اودعتها في النمسا والمانيا وحولت الى حساب الحلفاء بمقتضى معاهدة الصلح . والمأمول ان تخصص تلك المبالغ للتعويض من اضرار الحرب وفي جملتها الاضرار التي لحقت باللبنانيين

« اما مسألة العملة التي ستدفع بها اقساط الدين العثماني فقد طالت المفاوضات في شأنها لان تركيا تريد ان يكون الدفع بالفرنك الورق واصر الحلفاء على ان يكون الدفع على قاعدة الذهب وانتهى الامر بان ترك لتركيا الخيار في مفاوضة اصحاب سندات الدين مباشرة للوصول الى اتفاق في هذا الشأن وسيستفيد لبنان حتماً من كل تساهل تحصل عليه تركيا في مسألة العملة التي ستدفع بها اقساط الدين »

بيد ان مسألة العملة هذه تعقدت وطال الاخذ والرد فيها بين ممثلي الحكومة التركية ومندوبي حملة سندات الدين وعرضت مقترحات شتى لحلها ومنها اقتراح للفرنسويين والانجليز مؤداه ان يتنازلوا عن النصف ويأخذوا النصف الباقي على قاعدة الذهب فابى الترك ذلك واصروا على الدفع بعملة الورق وقطعت المفاوضات ثم استؤنفت في سنة ١٩٢٦ واقترح مندوبو سورية ولبنان ان تدفع الديون بعد تنزيل ٦٥ في المئة من اصلها واشارت عليهم المفوضية الفرنسوية بالموافقة على ان يستنزل نصف الدين فابوا واصدر مجلس الوزراء السوري في شهر يناير سنة ١٩٢٧ قراراً بان تدفع سورية ديونها بنسبة ٤٠ في المئة . وعاد اوغست باشا اديب الى باريس مصحوباً بيوسف بك عطا الله مندوب الحكومة السورية للاشتراك في المفاوضات التي دارت فيها على حل هذه المسألة المعقدة واقاما هناك بضعة اشهر على غير جدوى

في اثناء مؤتمر لوزان

ولم تكن شكايات السوريين واللبنانيين لتقف عند هذا الحد فقد تناولت اشياء كثيرة واموراً هامة بينا بعضها في ما سبق من الفصول . ورأت الوزارة الفرنسوية ان الحالة في سورية ولبنان تتفاقم يوماً بعد يوم وليس من سداد الرأي ان تعالج بالمسكنات الوقتية واستقر رأيها على ادخال اصلاحات جمة على نظام الادارة المعمول به في هاتيك البلاد على يد رجل حازم محنك خبير في شئون الشرق ومحيط باخلاق الشرقيين ولكنها كانت مغلولة اليدين بما كان يشغلها وقتئذ في مؤتمر لوزان من مسائل المانيا وتركيا التي لها صلة وثيقة بها ولا سيما مسألة الدين العثماني التي لها مصلحة كبيرة فيها لان معظم حملة سنداته من الفرنسوية ومسائل اخرى هامة ليس هذا مقام الاسهاب فيها . وكتب الينا زعيم لبناني كبير كان يقيم وقتئذ في باريس لاجل الدفاع عن القضية اللبنانية يقول ان الحكومة الفرنسوية تبتغي الاصلاح الجدي ولكن انصراف الرجال المنوط بهم هذا الامر الى معالجة المسائل الهامة المعروضة على بساط البحث في مؤتمر لوزان يحول دون امنيتها هذه وانه لا يرجى ان يتم شيء من الاصلاح المطلوب قبل تعيين خلف للجنرال غورو وحل المسائل المعروضة في المؤتمر وان الاتفاق بين سورية ولبنان يجب ان يقتصر على الامور الاقتصادية خلافاً لما يذهب اليه بعض السوريين ومن هم على رأيهم من رجال الانتداب من ان هذا الاتفاق يجب ان يتناول المسائل الاقتصادية والسياسية وهو ما لا يوافق واحد من اللبنانيين الصادقي الوطنية عليه

موقف تركيا في مؤتمر لوزان

ووقف الترك في مؤتمر لوزان بازاء دول الحلفاء موقف الند بازاء ندده فابدوا تصلباً غير مألوف وظهروا بمظهر غريب لا يتفق مع حالة دولة مغلوبة على امرها خارجة من الحرب مهيضة الجناحين تجر اذيال الخزي وتعاني آلام الانكسار ولا غرو فان فوزها على اليونان في سنة ١٩٢٠ — وهو الفوز الذي كان للسلاح والمهمات الحربية التي تخلت فرنسا لها عنها عند جلائها عن قيليقية شأن خطير فيه — قوى ساعدها وشدد

عزيمتها ولعبت نشوة الظفر في رؤوس رجالها فابطرتهم وخرجت بهم عن الحدود التي رسمتها دول الحلفاء لدولتهم حتى ظهروا امامها في مؤتمر لوزان بهذا المظهر الخشن الذي كان لانقسام الدول وتباين اغراضها الخفية ومراميها المستترة يد طولى فيه وهو ماتجلى على اتمه في غير حادثة من الحوادث التي وقعت في اثناء انعقاد المؤتمر وبعده

ومن ادل المظاهر التي تجلت فيها نوايا الترك الحقيقية على احتقارهم لشأن دول الحلفاء وازدرائهم بالعهود التي قطعوها لها بالتزامهم جانب السكون واحترامهم للاتفاقات التي ابرمها بعض هذه الدول معهم انه بينما كان مؤتمر لوزان منعقداً كان رسلهم واعوانهم في العراق وشمال سورية دائبين على دس الدسائس ونصب المكائد للدولتين المنتدبتين مما افضى الى عودة الفتن في تلك الاصقاع الى عهدها السابق. وفي ٢١ مارس سنة ١٩٢٣ دارت رحى القتال بالقرب من مدينة حلب بين الارمن والمسلمين ووردت الانباء بتفاقم الحالة في شمال العراق حيث وقعت معارك شديدة بين القبائل وقوات الحكومة وشرع الترك في حشد الجنود على حدود سورية الشمالية استعداداً للطوارىء. وارسلت فرنسا مذكرة الى تركيا تنذرها بمغادرة مندوبها للمؤتمر ان هي استمرت على حشد الجند. وفي ٤ ابريل سنة ١٩٢٣ بلغ التشاؤم اشده في المؤتمر ولاسيما ان تركيا لم تعلق اهمية على انذار الحكومة الفرنسوية وردت عليه رداً مبهماً منتحلة اعذاراً ما انزل الله بها من سلطان وظل حشد الجنود على الحدود السورية متواصلاً باساليب متنوعة الى ٨ مايو فاذعن الترك بعد ان اشتد ضغط الدولتين المنتدبتين عليهم واكرهوا على الوقوف عند حدودهم حرصاً على مصالحهم الحقيقية ان تغفل ويعبث بها في مؤتمر لوزان. بيد ان انصارهم واعوانهم في حلب والعراق لم ينقطعوا عن العمل ولكنهم احاطوا اعمالهم بحجب الكتمان

الحالة في دمشق.

اما في دمشق فان انصراف حكومة باريس عن الاهتمام بامرها الى غيره من الامور السياسية الهامة التي كانت تعالجها في مؤتمر لوزان كان من خير الفرص السانحة

لاعداء الدولة المنتدبة ومعارضي سياستها للعمل جهراً على اجتذاب الشعب الى جانبهم وتعزيز موقفهم بازائها واكثروا من تحدي انصارها ومريديها من مواطنيهم واشتد سخطهم على حقي بك العظم حاكم دمشق وهو من اكبر هؤلاء الانصار وجعلوا يهيئون الاسباب لاسقاطه وفي جملة ما فعلوه من هذا القبيل انهم اقاموا في اواسط ابريل حفلة شائقة في دار شريف افندي كيلاني تكريماً لصبحي بك بركات رئيس الاتحاد السوري وحضرها كبار موظفي الاتحاد ورجال البعثة الفرنسوية ولم يدع اليها حقي بك

مجلس الاتحاد السوري

وفي ٢١ ابريل افتتح مجلس الاتحاد السوري في دمشق برئاسة الموسيو روبر دي كيه وحضور رجال البعثة الفرنسوية في دمشق ورجال الصحافة وجمهور كبير من الاعيان وكبار القوم . وفي جملة ما جاء في خطبة الافتتاح التي القاها وكيل المندوب السامي قوله : « لقد اردنا الاتحاد لان قيام حكومة عامة واحدة للبلاد السورية مما لا مندوحة عنه لتعزيز موقفها وتأييد شخصيتها بين الشعوب . . . والدول السورية انتهجت الآن خطة الاقتصاد وان حكومة الاتحاد تتقدم بميزانية متكافئة وان هذا ليس حلماً بل حقيقة يغبط نفسه عليها . . . وان في استطاعة سورية ان تنظر الى المستقبل نظر المطمئن لان لها نظاماً سينمو بصورة مؤكدة والذي اراه ويراه معي كل سوري واقف على الحقيقة المؤلمة ان المؤكد الذي لا ريب فيه ولا مناص منه هو اما موت السوريين جوعاً في بلادهم واما فرارهم منها كما لو كانت مجذومة او اصبحت مربضا للاسد . . . اننا مكنا بلادكم من الوقوف على قدميها بحيث تستطيع ان تتبوأ مركزها بين الشعوب وليس ثمة مغنم او مطمح نرمي اليه من وراء الوصاية غير الشرف الذي نحصل عليه بفوز هذه البلاد ونجاحها . وهنالك تذكارات كثيرة متنوعة وصلات ادبية وتهذيبية ما برحت تربطنا منذ عصور بسوريه ولبنان . . . »

اخصام الانتداب يجددون حملاتهم

وتوسل خصوم الانتداب بهذه الخطبة لتجديد حملاتهم على الدولة المنتدبة وانتقاد سياستها في سورية ولبنان . وفي جملة ما كتب الكتاب في هذا الصدد قول بعضهم في فصل ضاف نشرته له جريدة المقطم في ٩ مايو سنه ١٩٢٣ ما ملخصه : « ان وكيل المندوب السامي على اتصال دائم فيما يظن بالذي سن نظام سورية الحالي وسن نظام المجلس النيابي اللبناني ودافع عن هذه الانظمة الفاسدة في مجلات باريس الكبرى وطعن في كفاءة السوريين والذي يدير شئون سورية من وراء ستار الانتداب [1] . . . من المسئول سواه عن تقسيم سورية الى دويلات طائفية وعن تفريق كلمة ابنائها . ومن الذي انزل في كل دويلة جيشاً من الموظفين وارهق ميزانيتها برتباتهم الباهظة وسلط عليها رهطا من الذين يعرفون من اين تؤكل الكتف فاموها وهم خاليو الوفاض وخرجوا منها بالغنائم والاسلاب . . . من السهل على الكاتب المأمور ان ينظم ميزانية تتعادل فيها الايرادات والمصروفات ولكن من الصعب على الاقتصادي ان يعتقد ان بلاداً فقيرة تزيد وارداتها على صادراتها زهاء ستمئة مليون سنويا تعد ذات مالية حسنة . ومن المحال ان يجد سكان البلاد في كل عام كنوزاً تسد هذا العجز المريع . قد كان يصح ان يرى السوري بارقة امل من تفاؤل المسيو دي كيه في الحالة المالية لو انه امر قبل ان اعتلى منبر الخطابة باغلاق ابواب البنك السوري وختمها بالشمع الاحمر . اذ من يجهل ان هذا البنك امتص ذهب البلاد واستأثر باصداره الى باريس وجر هبوط سعر ورقه الى ازمة مالية شديدة كادت تودي بحياة البلاد ومع ان رأس ماله لا يتجاوز عشرة ملايين فرنك فربحه الصافي من وراء ورق النقد الذي اصدره بلغ في سنة واحدة ٢٨ مليون فرنك كما قيل في مجلس النواب الفرنسوي . . . وهذا علاوة على الحواجز الجمركية المضروبة حول البلاد

---

(١) نحن نعلم ان الموسيو روبردي كيه هو الذي وضع النظامين الاساسيين للبنان وسورية . انظر كتاب « الانتداب الفرنسوي في سورية ولبنان » لصغير باشا . ص ١٠٢ وما يليها

كنطاق من حديد وانقطاع صلاتها التجارية بالبلدان المجاورة لها بحيث اصبحت في عزلة عن العالم مما كان له شأن كبير في سوء حالتها الاقتصادية . . . وما كاد الرجل ينتهي من زفاف البشرى بعهد جديد على يد مجلس الاتحاد السوري ويعلن عدم تدخل السلطة الفرنسوية في كيفية وضع النظام الذي تختاره البلاد لنفسها حتى امر بتعطيل الصحف التي تنشر ما يدور في المجلس من المناقشات . . . اما ما قاله عن مقاصد دولته فينفيه قول الموسيو بوانكاره في ٣٠ يونيو سنة ١٩٢٢ في مجلس الشيوخ « لا خلاف في اننا ذهبنا الى سورية لاجل الحماية والاستعمار » . والذي يتبادر الى الذهن ان هذه المقدمات ستزيد النتائج الحالية وخامة . . . »

هذا مثال مما كان يقال ويذاع وقتئذ عن مقاصد الدولة المنتدبة ونواياها مما زاد الرأي العام قلقاً وزاد الناقمين على الانتداب الفرنسوي نفوراً واستياء من رجاله وفي طليعتهم الموسيو روبر دي كيه

بولس مسعد

تم

الجزء الأول

فهرس الكتاب

صفحة	
١	حوران وجبل الدروز
٣	حوران
٥	دولة الانباط
٩	بطرا
١١	التنوخيون وبنوسليح والضجاعمة
١٢	دولة الغساسنة
١٥	آثار الغساسنة
١٩	حوران في العصور الحديثة
٢٥	جغرافية حوران
٢٥	موقعها
٢٦	حدودها
٢٦	اقسامها القديمة والطبيعية
٢٦	اللجاه
٢٩	النقره
٣٠	جبل الدروز
٣٠ - ٣٢	سكانه . طبيعة ارضه . ابنيته
٣٣ - ٣٤	حيواناته . تجارته . عادات سكانه
٣٥	التقسيم الاداري
٣٦	مركز المتصرفية
٣٧	قضاء عجلون
٤٠	قضاء جبل حوران او جبل الدروز
٤٤	قضاء القنيطرة
٤٨	قضاء بصرى الحريري
٤٩	قضاء درعا
٥٤	حوران في اثناء الحرب العظمى
٥٦	حوران بعد الحرب العظمى
٥٨	موقف لبنان بعد الحرب العظمى
٥٩	الوفد اللبناني في مؤتمر الصلح
٦٠	الانتداب الفرنسوي (استفتاء السوريين واللبنانيين)
٦١	مؤتمر سان ريمو والانتدابات
٦١	صدى قرار المؤتمر في سورية ولبنان
٦٤	الدسائس في الداخل والخارج
٦٥	تأثير الدسائس في جبل الدروز
٦٦	انشقاق الزعماء في جبل الدروز
٦٦	المعتدلون والمتطرفون
٦٩	سياسة الجنرال غورو وتفاقم الحالة

صفحة

٧١ الفتن في الشمال
٧٣ اعمال السلطة العسكرية
٧٤ المنادات بالملك فيصل
٧٥ حل مجلس ادارة لبنان
٧٧ بعد سقوط الملك فيصل
٧٨ اعلان استقلال لبنان
٨٠ تطبيق الانتداب في سورية
٨٥ سياسة الرفق والمسالمة
٨٦ استقلال جبل الدروز
٨٧ سياسة الرفق وعواقبها
٨٩ محاولة اغتيال الجنرال غورو
٩١ في قصر بكركي
٩٢ عتب اللبنانيين
٩٤ تحديد الانتداب ومهمة الدولة المنتدبة
١٠٠ نظام لبنان الاساسي وعيوبه
١٠٢ الفتن في الشمال والجنوب
١٠٣ مطامع الملك حسين
١٠٣ سفر الجنرال غورو الى باريس
١٠٥ فرنكلين بويون والجلاء عن قيليقية

صفحة

١٠٥ هجرة الارمن من قيليقية
١٠٦ سياسة روبر دي كيه وعواقبها
١٠٨ حادثة المستر كراين
١٠٨ عودة الجنرال غورو وتفاقم الحالة
١١٠ ولاء اللبنانيين للدولة المنتدبة
١١١ موقف الجنرال غورو بازاء المستائين
١١٢ حجة المستائين
١١٥ الحياة السياسية في لبنان
١١٦ سياسة القمع الجديدة
١١٧ انتقاض سلطان بك الاطرش
١١٨ المسكنات الوقتية وعواقبها
١١٩ عودة الجنرال غورو الى باريس
١٢٠ الحالة بعد استقالة الجنرال غورو
١٢٢ الدين العثماني وتوزيعه
١٢٥ في اثناء مؤتمر لوزان
١٢٥ موقف تركيا في مؤتمر لوزان
١٢٦ الحالة في دمشق
١٢٧ مجلس الاتحاد السوري
١٢٨ اخصام الانتداب يجددون حملاتهم

اصلاح خطأ

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٢	٤	الى	على
٢	٢١	يكفي	لكفى
٦	٧	لاسرائيليين	الاسرائيليين
٩	٢٠	واعتماده	واعتمادها
١٢	٤	شمالي	شمال
١٧	٢	ليستدل	يستدل
١٧	١٢	التسكوسلوفاكية	التشكوسلوفاكية
١٩	٢٠	للمناويش	المغاويش والحلبية
٢٠	٣	المفرق	المقرن
٢١	٤	بعد مذابح سنة ١٨٦٠	يجب حذف هذه العبارة
٢٤	٢١	الانجليز	سليم بك ايوب ثابت
٢٥	٦	الاسباب	الاسهاب
٢٨	١٨	وقت هذه	وقت الاعمدة هذه
٤٠	١٤	المحفوظ	المحفوظة
٤١	٤	كيلوا متراً	كيلو متراً
٤٤	١	صفوف مقاعد	صفوف من مقاعد
٥٦	٢	فيها	فيهما
٥٦	١٠	حتى ماوراء	حتى في ما وراء
٥٦	١٣	تعويلهم منذ	تعويلهم عليها منذ

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٥٧	١٥	والاستلام	والاستسلام
٦٣	٩	الثورت	الثورات
٧٠	٦	وشرقي	وشرق
٨٤	١٤	يستوطون	يستوطنون
٨٤	١٥	هذا الاقاليم	هذه الاقاليم
٩٠	٣	نعمه	نعمها
٩٢	٢١	ومعاملته	ومعاملتها
٩٣	٢٣	في ما كان	في من كان
٩٦	١١	واستلامها	واستسلامها
١٠٥	١٣	المتعلقة	المقلقة
١١٤	٢١	مقام لبسطها	مقام بسطها
١١٦	١٠	اغلاط غيري	اغلاط اخرى
١١٩	١٠	دي كي	دي كيه
١٢٢	١٢	عن ثلاثة	على ثلاثة
١٢٥	٩	الفرنسوية	الفرنسويين

LE LIBAN ET LA SYRIE

AVANT ET APRÈS LE MANDAT

PAR

Cheikh BOULOS MASSAD

I^ER Volume

I

HAURAN ET LE MONT DES DRUSES : ANCIENNES POPULATIONS. ANTIQUITÉS. GÉOGRAPHIE. HISTOIRE MODERNE.

II

LE MANDAT FRANÇAIS AU LIBAN ET EN SYRIE AU TEMPS DU GÉNÉRAL GOURAUD

1929

IMPRIMERIE SYRIENNE
16, Rue Damanhour. Héliopolis 16.

DATE DUE

-2 JAN 2014

JAFET LIB.
Circulation Dept. 4

16 JUN 2003

JAFET LIB.
Circulation Dept. 2

16 JUN 2003

JAFET LIB.
Circulation Dept. 2

25 JAN 2007

JAFET LIB.
Circulation Dept. 2

03 JAN 2007

JAFET LIB.
Circulation Dept. 2

21 JUL 2010

JAFET LIB.
Circulation Dept. 4

-9 JUN 2015

JAFET LIB.
Circulation Dept. 4

S. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00336845
A.U.B. LIBRARY

956.9
M391cuA
v.1